

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

تسريحات شكسبير



الملك چون

ترجمة

الدكتور محمد عوض محمد



0200892

Bibliotheca Alexandrina

8

مَسْرُوحَاتِ شَكْسِبَر

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

الملك چون

الطبعة الثالثة



الملك چون

ترجمة

الدكتور محمد عوض محمد

ومراجعة

الأستاذ محمد بلران

الأستاذ محمد شفيق غربال

حياة الملك چون

وفاته

ولد چون بن هنرى الثانى ملك إنجلترا فى عام ١١٦٧ ، ومات فى عام ١٢١٦ . وقد ترك هنرى الثانى خمسة أبناء أكبرهم وأشهرهم ريتشارد « قلب الأسد » قائد الحروب الصليبية المعروف ، وهو الذى تولى الملك بعد وفاة أبيه هنرى الثانى .

ولم يكن لريتشارد ولد شرعى يرثه . ولذلك كان نظام التوريث ، يتجه بعد ريتشارد إلى أخيه جوفرى ، الذى توفى فى حياة أخيه ، وترك ولداً من زوجته الفرنسية كنستانس ، وهذا الولد هو الغلام الظريف آرثر ، الذى يطالع القارىء مآساته فى الفصل الرابع من هذه المسرحية .

كان آرثر الصغير لذن هو الوريث الشرعى لقلب الأسد ؛ وقد أوصى ريتشارد فعلا قبيل سفره إلى الأرض المقدسة بأن يخلفه هذا الغلام . . . وعاد ريتشارد من حروبه الصليبية ، وقضى بقية عمره فى معالجة شئون مملكته فى إنجلترا . الداخلية منها والخارجية . وفى أثناء ذلك ألغى وصيته السابقة ، بتأثير والدته إليانورا ، التى أرادت أن يتولى الملك ابنها هى ، لا ابن تلك المرأة الطموح كنستانس ، فكتب ريتشارد وصية جديدة بتوريث أخيه چون ، وقد ورث الملك فعلا فى عام ١١٩٩ بعد موت ريتشارد .

ولا شك أن ظفر جون بالملك وحرمان آرثر كان مخالفاً للنظام المقرر لوراثة العرش . ولذلك لم تعترف فرنسا بجون . وتولى ملك فرنسا الدفاع عن حقوق الفتي آرثر ، وبهذا الاحتجاج الفرنسي تبدأ المسرحية . ومع أن هذا الخلاف بين فرنسا وإنجلترا هو الموضوع الأول في المسرحية ، فإنه ليس الموضوع الواحد ، بل هناك أيضاً سوء العلاقات بين جون وبين البابا ، والتزاع الذي شجر بينه وبين الأشراف في إنجلترا . . . ومع أن هذه الأمور وملابساتها لم تتخرج كلها في وقت واحد ، فإن شكسبير كعادته لم يعبأ بالترتيب الزمني ولم يتقيد بتسلسل الحوادث ، من أجل حرصه على العرض الفني . والتنسيق القصصي ؛ حتى وصفت مسرحية الملك جون . بأنها أكثر تصرفاً في التاريخ من أية مسرحية تاريخية أخرى كتبها شكسبير ؛ إذ جمع فيها ، من أجل التركيز الفني ، حوادث سبعة عشر عاماً في بضعة أشهر .

* * *

وتعد مسرحية الملك جون من مسرحيات الزمن الأوسط في تاريخ إنتاج شكسبير ، وقد اتجه أكثر الشراح أول الأمر إلى أنها ألقت حوالي عام ١٥٩٥ ، وأن شكسبير اقتبس موضوعها من مسرحية أخرى تدعى «العهد المضطرب للملك جون» *The Troublesome Reign of King John* . ويمكن للشراح أن يقارنوا بين بعض العبارات والمواقف المتشابهة في المسرحيتين .

ومع أن مسرحية « العهد المضطرب » لم يعرف مؤلفها ، فإن من المعروف أنها طبعت في عام ١٥٩١ في جزئين . ولذلك ذهب كثير من الشراح إلى أن « العهد المضطرب » هي المرجع الأول ، إن لم يكن المرجع الوحيد ، الذى اقتبس منه شكسبير موضوعه . وهناك تطابق واضح بين المناظر وترتيب الحوادث ، والأشخاص ، فى كلا المسرحيتين ، ومع ذلك فإن مسرحية « العهد المضطرب » ، تعد نتاجاً هزلياً ، إذا قيست إلى مسرحية الملك جون .

لذلك لم يكن بد من أن يتساءل غير واحد من الشراح كيف رضى شكسبير — وبخاصة بعد أن تقدم واشتهر — أن يعتمد على نتاج هزيل لمؤلف معاصر من الدرجة الثانية أو الثالثة ؟ ثم كيف رضى أن يتبع هذا المؤلف ، ويقف أثره خطوة خطوة فى ترتيب المناظر والمواقف ؟

وقد كان من نتيجة هذا التساؤل أن أخذ الشراح يتعمقون فى البحث عن مصادر أخرى اعتمد عليها الشاعر . فوجدوا ضالهم فى تاريخ هولنشد Holinshead وفى غيره من المراجع التى سبق أن اعتمد عليها شكسبير فى مسرحياته الخاصة بتاريخ إنجلترا .

لم يكد الباحثون أن يصلوا إلى هذه النتيجة حتى انكشف لهم أن مسرحية « العهد المضطرب » لم تكن أصلاً أو مرجعاً بل تقليداً ومحاكاة لمسرحية الملك جون ، اقتبس مؤلفها الموضوع والمواقف ونقلها عن شكسبير ، ولم يأت من عنده إلا بالصياغة المتواضعة التى تناسب مركزه الأدبى .

لم يكد هذا الرأى أن يظهر حتى اكتسب عدداً كبيراً من الأنصار ، وأخذ النقاد يدركون أن هذا الرأى الجديد يوضح كثيراً من الصعوبات التى كانت تكتنف الرأى الأول ، وقد استتبع ذلك تعديلاً فى تاريخ تأليف المسرحية ، فاستقر الرأى على أنها ألقت ومثلت فى عام ١٥٩٠ . والظاهر أنها لقيت نجاحاً كبيراً ، حتى اضطرت بعض المسارح المنافسة إلى أن تكل إلى بعض الشعراء أن يحاكيها بسرعة ، حتى يقوم بتمثيلها هو أيضاً ، وهكذا جاءت مسرحية « العهد المضطرب » تقليداً ومحاكاة لمسرحية شكسبير .

ويقال إن السبب فى رواج مسرحية الملك جون ، أن الموضوع مما يروق المجتمع الإنجليزى فى ذلك الزمن ، وأن فى المسرحية شخصيات تجذب الجماهير . مثل شخصية فولكنبردج « الدعى » ، وشخصية الفتى آرثر . كما اشتملت على بعض المواقف المثيرة مثل النزاع بين السيدتين كنستانس أم آرثر واليانورا أم جون ؛ وفوق ذلك امتازت المسرحية بشعر رائع ، وبعدد من القصائد الرائعة ، التى كان الجمهور يتعشقها فى ذلك الزمان .

والظاهر أن مسرحية « العهد المضطرب » لم تلق رواجاً كبيراً ، ولذلك طبعها الناشر ، بعد وفاة شكسبير مباشرة . وجعل مؤلفها هو وليم شكسبير ! وأنها بمثابة « المسودة » التى أعاد صياغتها بعد ذلك وألفها من جديد . ولا حاجة بنا إلى أن نقف طويلاً عند هذا الرأى ، الذى لم

بين الناقلين نصير يستحق الذكر .

صفوة القول أن مسرحية « الملك چون : حياته ومماته » قد ألفها
ير حوالى عام ١٥٩٠ وأن المراجع التى اعتمد عليها هى كتابات
يرن وعلى الأخص هولنشد . .

يسيجد القارئ أن مناظر المسرحية موزعة بين إنجلترا وفرنسا ، أسوة
عده فى غيرها من المسرحيات التاريخية الإنجليزية ، وذلك لأن ملك
ة كان فى ذلك الزمن يملك مقاطعات ومدناً فى جهات مختلفة
فرنسا . بعضها يرجع إلى العهد النورماندى ، وبعضها مما آل إليه
ثة نتيجة المصاهرات .

وشخصية الملك چون لم تكن بالشخصية الجذابة . ولذلك يتساءلون
ب يكون « بطل » المسرحية خالياً من كل خصائص البطولة أو جليها .
يقة أن كلمة « بطل » لها معنى آخر ، وهو الشخصية التى تدور
أحداث المسرحية . سواء أكانت شخصيته جذابة أم كانت غير
فإطلاق اسم الملك چون على المسرحية يبرره تماماً أنه هو المحور
ل يدور عليه كل ما يجرى فيها . وليس من شأن شكسبير ، وهو
ب تصوير عصر وأحداث ، أن يخالف جوهر التاريخ بأن يسند إلى چون
ل ليست له وأعمالا لم يقم بها . وأن يكسبه مجداً لم يكن له منه نصيب .
هذه مقدمة موجزة أردنا بها أن نساعد فى تفهم هذه المسرحية .

محمد عوض محمد

أشخاص المسرحية

King John	: ملك إنجلترا	الملك جون
Prince Henry	: نجله الأكبر	الأمير هنري
Arthur	: دوق بريتانيا وابن أخى الملك	آرثر
Salsbury	:	إيرل سالسبورى
Pembroke	:	إيرل پمبروك
Essex	:	إيرل أسكس
Bigot	:	لورد بيجوت
Robert Faulconbridge	: نجل سير روبرت فولكنبردج	روبرت فولكنبردج
Philip	: أخوه لأمه	فيليب «الدعى»
Hubert	: من أهل بلدة آنجيه	هوبرت
James Gurney	: خادِم ليدى فولكنبردج	جيمس جورنى
Peter	: متنبئ	بطرس ألهمفرى
Philip	: ملك فرنسا	فليب
Lewis	: ولى عهد فرنسا	لويس
Limoges	: دوق النمسا	ليموج
Melun	: لورد فرنسى	ميلون

شاتليون	: سفير ملك فرنسا لدى الملك جون	Ilon
كردينال پاندولف	: مندوب البابا	inal Pandulph
الملكة إليانورا	: أم الملك جون	n Eleanor
كنستانس	: أم آرثر	tance —
بلانش الأسبانية	: بنت شقيقة الملك جون	she
السيدة فولكنبرج	: أرملة سير روبرت فولكنبرج وأم رو	
	وأم الدعى	r Faulconbridge
لوردات ، والمشرف ، وضباط ورسل ومنادون وحاشية ، وأتباع آ		
المناظر	: بعضها في فرنسا والبعض في إنجلترا .	
الزمن	: أوائل القرن الثالث عشر*	

* النص الذى اتبع فى هذه الترجمة هو طبعة آردن Arden ، سواء فى ذلك ال
الصادرة فى عام ١٩٣٩ ، والى صدرت فى عام ١٩٥٤ ، مع الاستمارة بمختلف الشر
والتعليقات والمعاجم . أما التعليقات الواردة فى هامش هذه الترجمة ، فقد أضافها المة
إيضاحاً لبعض ما خيل إليه أنه فى حاجة إلى إيضاح .

الفصل الأول

المنظر الأول

(بلاط ملك إنجلترا)

(يدخل الملك جون والملكة إليانور ، والأشراف جيمس واسكس
وساليسوري ، وبعض الحاشية ومعهم شاتليون سفير ملك فرنسا)

الملك جون : نبشئ الآن يا شاتليون . ما الذى يبغيه منا ملك فرنسا ؟
شاتليون : إن ملك فرنسا ، بعد التحية ، يخاطب بلسانى
صاحب الجلالة الإنجليزية ،
تلك الجلالة الزائفة .

٥ إيلانور : فاتحة غريبة لعمري ، الجلالة الزائفة !
الملك جون : صه ، أيتها الأم الطيبة ! وأنصتى لرسالة السفير .
شاتليون : إن فيليب ملك فرنسا ، وهو ينوب نيابة صحيحة
عن آرثر بلانتاجنت ، ابن أخيك المتوفى جفري ،
يطالب بحقه الشرعى
١ . فى ملك هذه الجزيرة الجميلة ، والأقطار التابعة لها .
أيرلندة وبواتيه ، وأنجو ، وتورين ، وماين ،
ويطلب إليك أن تلقى السيف

الذى تغتصب به هذه الممتلكات ،
وتضعه فى يد آرثر الصغير ابن أخيك ،
صاحب الحق الشرعى فى هذا الملك كله . ١٥

الملك جون : وما العاقبة إذا رفضنا هذا ؟

شاتليون : الإذعان قهراً للحرب الضروس ،

والتسليم كرهاً بالحقوق المغتصبة .

الملك جون : قاتلكن حرباً بحرب ، ودماً بدم ،

وقهراً يقهر . . هذا جوابى الملك فرنسا . ٢٠

شاتليون : إذن أسمعك من فى تحدى ملك فرنسا ،

وهذا آخر شىء فى رسالتى .

الملك جون : أبلغه أنى أتحداه أيضاً . وانصرف بسلام !

ارجع إلى فرنسا فى سرعة البرق ،

فإنى سأبلغها قبل أن تبلغهم رسالتك . ٢٥

وستدوى مدافعى كالرعد القاصف (١) .

انطلق ! ولتكن أنت النذير بغضبى ،

ورسل الشؤم بما سيحل بكم من الدمار .

يا بيمبروك ، عليك أن توفر له

(١) لم تكن المدافع اخترعت بعد ، وشكسبير كثيراً ما يتجاوز حقائق التاريخ

على هذا النحو .

أن يعود آمناً مكرهاً . وداعاً يا شاتليون

(يخرج شاتليون ويبروك)

أرأيت يا بنى ! ألم أقل دائماً

البيانور

إن كنستانس ، تلك المرأة الطموح ، لن يقر لها قرار ،

حتى تشعل النيران في فرنسا وفي العالم بأسره .

من أجل حقوق ابنها وممتلكاته ؟

وقد كان من الممكن تجنب هذا كله وتصحيح

٣٥

الأوضاع ،

لو أنك جعلت بالحبّة والود حجتك

بدلاً من اللجوء إلى حرب شعواء تشب بين القائمين

على أمر مملكتين ،

وتسيل فيها الدماء ، وتزهق الأرواح .

الملك چون . لنا قوة الملك . وقوة الحق .

٤ . ايانور : ليكن اعتمادك على ملكك أكثر من اعتمادك على حقتك ،

وإلا ساءت العاقبة لى ولك .

هذا وحى ضميرى . أهمس به فى أذنك .

فلا يسمعه إلا الله وأنت وأنا .

(بدخل المشرف)

اسكس : هولاى ، إن لدينا قضية من أعجب القضايا التى

سمعت بها ،

٤٥ وقد أقبل أصحابها من بلادهم ، لكي تحكم بينهم ،
فهل تأذن لي أن أحضرهم ؟

الملك جون : دعهم يقتربوا ،

وستحتمل الكنيسة

نفقات هذه القضية العاجلة .

(يدخل روبرت فلكنبردج وأخوه الدعي فليب)^(١)

٥٥ من أنما ؟

الدعي : رجل مخلص من رعاياك ، سيد مهذب ،

ولد في مقاطعة نورثمبتون ، الابن الأكبر فيما أظن ،

لروبرت فولكنبردج ،

ذلك الجندي الذي أنعم عليه قلب الأسد ، الملك

المنعم الكريم ،

بلقب الفروسية^(٢) في ميدان القتال .

٥٥ الملك جون : وأنت من تكون ؟

روبرت : أنا الابن والوارث الشرعي لفولكنبردج هذا .

الملك جون : أهذا هو الابن الأكبر وأنت الوريث الشرعي ؟

(١) الولد غير الشرعي .

(٢) هو لقب سير المعروف ، وقلب الأسد هو ريتشارد المعروف في الحروب الصليبية
والأخ الأكبر للملك جون .

لعلكما لستما من أم واحدة .

الدعى : نحن بلا شك من أم واحدة ، أيها الملك العظيم ،
وهذا أمر يعرفه الجميع وكلانا وفيما أظن من أب واحد ،
ولكنك إذا شئت أن تعلم هذه الحقيقة علم اليقين ،
فإني أحيلك على الله سبحانه وتعالى ،
أما أنا فإني كغيري من بني الإنسان قد يساورني الشك
في هذا الأمر .

البيانور : يالك من فتى بذيء ! إنك تلحق العار بأمك .

وتخدش شرفها بما تثيره من الشكوك .

الدعى : كلا يا سيدتي ، لست أنا السبب في هذا .

بل هو ما يزعمه أخى لا ما أزعمه أنا ،

وإذا استطاع أن يثبت ما يزعمه .

فإني سأحرم من إرث طيب لا يقل عن خمسمائة جنيهه

في العام ،

لذلك أسأله الله أن يحفظ شرف أوى . ويحفظ لى

أرضى !

الملك جون : إنك فتى طيب وصريح .

ولكن لماذا ، وهو أحدث منك مولداً ، يدعى الحق

في إرثك ؟

الدعى : لا أعرف لهذا سبباً سوى رغبته فى الاستيلاء على الأرض .

ولكنه قد وصمنى مرة بأننى ابن غير شرعى ،

ولكن سواء أكنت ابناً شرعياً أم غير شرعى ،

فإن حريرته تقع على أمى ،

فإذا شئت يا مولاي أن نسبى لا يقل صدقاً عن نسبه

— وأسأل الله أن يحسن إلى تلك العظام التى تعبت

بحملى —

٧٥

فقارن وجهه بوجهى ، ثم احكم بما تراه !

ولئن كان كلانا قد أنجبه سير روبرت

وكان هو والدنا حقاً ، لك وكان هذا الابن مشابهاً له ،

فإنى أركع على ركبتى وأحمد الله

على أنى لست أشبهك أيها الوالد الشيخ : سير روبرت !

الملك جون : أى مجنون هذا الذى ساقته إلينا المقادير !

٨٥ اليانور : إن فيه ملامح من وجه قلب الأسد ،

كما يشبهه فى لهجة لسانه ،

ألا تقرأ فى قوام هذا الرجل الضخم

بعض الدلائل التى تذكر بابنى ؟

الملك جون : لقد أنعمت النظر فى ملامحه

فوجدتها مطابقة لريتشارد كل المطابقة . تكلم يا هذا ،

٩٠

ما الذى حملك على المطالبة بأرض أخيك ؟
 الدعى : لأنه ، إذا تأملته من جانب ، بدا نصف وجهه
 مشابها لأبى ،

ويريد أن يستولى على أرضى كلها بنصف وجهه هذا ،
 أجل بنصف الوجه^(١) المنقوش على الدرهم ، يريد أن
 يستولى على خمسمائة جنيه فى كل عام .

٩٥ روبرت . مولاي السيد الحليل . عندما كان والدى على قيد الحياة
 كان أخوك يكثر من استخدامه .

الدعى . هذه الحجة يا سيدى لن تنيلك أرضى ،
 يجب أن تروى قصة استخدامه لأبى .

روبرت : — ثم أرسله مرة سفيراً إلى ألمانيا ،
 لكى يفاوض الإمبراطور هناك .

فى شأن من الشئون الهامة فى ذلك الزمن .

وانتهز الملك فرصة عيابه ،

وأقام أثناء ذلك فى بيت أبى .

ويعرونى الحجل حين أروى كيف تغلب .

(١) نصف الوجه أى البروفيل . ويقول الدعى إن « أخاه يشبه بروفيل أبيه ،
 ثم يقارن بينه وبين البروفيل المنقوش على الدرهم . وقيمته أربعة بنسات ، تحقيراً له .

ولكن كلمة الحق لا مهرب منها : وقد سمعت أبى
نفسه يحدثنا

١٠٥

بأنه كانت تفصل بينه وبين أمى

مساحات واسعة من البر والبحر ،

عندما حملت بهذا السيد القوى الضخم .

فأوصى لى وهو فى فراش الموت بأرضه ،

وأقسم عند وفاته يميناً

١١٠

بأن ابن أمى هذا ليس من صلبه .

وكيف يكون من نسله

وقد ولد قبل الموعد الطبيعى لمولده بأربعة عشر أسبوعاً كاملاً؟

من أجل ذلك ألتمس منك يا مولاي ، أن تأمر لى

بأرض أبى ،

ولى فيها الحق كله ، طبقاً لوصيته التى أوصى بها .

١١٥

الملك چون : يا هذا إن أخاك ولد شرعى ،

ما دامت زوج أبائك قد حملت به بعد الزواج .

فإذا كانت أمك قد ضلت فعلها تقع الخطيئة .

تلك الخطيئة التى يتعرض لها جميع الرجال حين

يتخذون زوجات .

قل لى : أكان يجوز لأخى ،

١٢٠

الذى تزعم أنه جشم نفسه إنجاب هذا الفتي ،
 أن يطلبه من أبيك بوصفه ولده ؟
 كلا أيها الصديق . لقد كان من حق أبيك
 أن يحتفظ بهذا العجل الذى ولدته بقرته ، دون سائر
 الناس .

لقد كان هذا من حقه بلا مرأى ولن يستطيع أخى أن
 يطالب به ، ولو كان ابنه ،
 ولا يستطيع أبوك أن ينكره ، على زعم أنه ليس من ولده .
 هذا إذن هو القول الفصل :

إن ابن أُمى قد أنجب وريث أبيك .
 ولابد لوريث أبيك أن يستولى على أرض أبيك .

١٣٠ روبرت : أما لوصية أبى من القوة

ما يكفى لحرمان هذا الدعى الذى ليس من ولده ؟

الدعى . ليس لوصيته فيما أرى من المقدرة على حرمانى ،

أكثر مما كان له من الإرادة فى إنجابى .

الليانور : أيهما آثر عندك ، أن تنتسب إلى أسرة فولكنبرديج ،

وتنعم كأخيك بتلك الأراضى .

١٣٥

أو أن تكون ابناً ناهياً لقلب الأسد ،

تنعم بذلك الشرف دون الأراضى أو الضياع ؟

الدعى

: لو أن أخى هذا له صورتى ،

١٤٠

ولى صورته وصورة أبيه سير روبرت ،

وكانت لى رجلان كقصبتين ضئيلتين مثل رجله ، ١

وذراعان كأنهما جلد ثعبان محشو بالخرق البالية ،

وكان وجهى من الضالة بحيث لا أستطيع أن أضع وردة

خلف أذنى ،

لثلاثا يصيح الناس حين يرونى : «هاك قطعة من ذات

الثلاثة الملالم (١) ! »

وكننت وأنا فى مثل هذه الصورة ، وريثاً لجميع هذه

الأراضى والضياع ،

١٤٥

إذن لوددت لو أخرج صريعاً لساعى فلا أبرح مكانى هذا

إن لم أهب كل شبر من الأرض لكى أسترد صورتى

وشكلى ،

فلا أكون شبيهاً بالسير روبرت بحال من الأحوال .

اليانور

: إنى بك لمعجبة ، فهل لك أن تتخلى عن ثروتك ،

وتنزل له عن ضيعتك ، وتتبعنى ؟

(١) كانت القطعة التى تعادل الثلاثة الملالم فى زمن شكسبير تحمل صورة ضئيلة ، وخلف الأذن وردة تميزها عن غيرها من القطع القريبة منها فى القيمة . والجملية ياد بها تحقير أشكال خيه روبرت ووالده .

فأنا من الجند ، ووجهتى الآن فرنسا .

١٥٠

الدعى : أى أخى ! دونك أرضى ومالى ، وسأمضى لأنشد حظى ،
إن وجهك هذا أكسبك خمسمائة جنيه ، إيراداً سنوياً ،
مع أنك لو بعته ببضعة قروش لكان الثمن غالياً .
مولاتى ، سأتبعك حتى الموت .

١٥٥ اليانور : بل أريد منك أن تسبقنى إليه .

الدعى : تقضى آداب بلادنا أن نفسح الطريق لسادتنا .
الملك جون : ما اسمك ؟

الدعى : اسمى فليب يا مولائى . هكذا يبدأ اسمى .

فليب الابن الأكبر لزوجة السير روبرت الشيخ الطيب .

الملك جون : عليك أن تحمل منذ الساعة اسم الرجل الذى تحمل
صورته .

اركع أمامى وأنت فليب ، ثم انهض وأنت أجل وأعظم .

انهض وأنت سير ريتشارد ولقبك بلانتاجنت (١) .

الدعى : أى-أخى لأمى ، ناولنى . يلىك !

إن أبى منحنى النبل . أما أبوك فنحنك الأرض .

ألا بوركت الساعة التى حملت بى فيها أمى ، ليلا

كانت أو نهراً .

١٦٥

(١) يركع الشخص أمام الملك فيضربه على كتفه بيسفه ويمنحه لقب الشرف .
وبلانتاجنت Plantagenet هو اسم الأسرة المالكة لإنجلترا فى ذلك الزمن .

والسير روبرت فى سفر بعيد !

اليانور : هذه الروح هى روح أسرة بلانتاجنت ،
أنا جدتك يا ريتشارد ، وهكذا خاطبني .

الدعى : أجل يا مولاتى ، ولئن كان نسبي صدفة ، ولم يكن
صريحاً ، فأى ضمير فى هذا ؟
قد يكون الأمر مخالفاً للعرف ، أو مجانباً للاستقامة .
قليلاً .

١٧٠

فلن من فاته الباب ، دخل من الطاق أو النافذة ،
ومن خشى السير نهراً ، فلا بد له من دلج الليل ،
والثمرة هى الثمرة ، أيّاً كانت وسيلة قطعها !
وسيان لمن أصاب الهدف ، إن رمى عن كنب أو بعد .
وأنا أنا سيان عندى كيف ولدت

١٧٥

الملك جون : انصرف الآن يا فولكنيردج ، فقد نلت مأربك ،
بعد أن جعلك هذا الفارس الذى لا أرض له ، رجلاً
من ذوى الأراضى .
هلم يا مولاتى ، وهلم يا ريتشارد ، لا بد لنا أن نسعى
سعيّاً حثيثاً
إلى فرنسا ، لأننا فى أشد الحاجة إلى هذا الإسراع .

١٨٠ الدعى : وداعاً يا أخى ! وعسى أن يصاحبك التوفيق ،
ما دمت قد ولدت مولداً شريفاً .

(يخرج الجميع ماعدا الدعى)

لقد زدت في النبل قيراطاً فوق ما كنت فيه ،
ونقصت في أرض الإقطاع قراريط
فليكن ، فالآن صار بوسعى أن أجعل من أية أنثى قروية
سيدة نبيلة ،

وإذا حيأني شخص : « عم مساء يا سير ريتشارد ! »
أجيبته بأنفه : « شكراً لك يا صاح ! »

١٨٥

وإذا كان اسمه جرجس دعوته بطرس ،
لأن حديث النسب من دأبه أن ينسى الأسماء .
وإلا كان في منزلته الجديدة متواضعاً ، متودداً أكثر
مما ينبغي .

وينجى بعد ذلك لزيارتي والتحدث إلى رجل من ذوى
الأسفار والرحلات ،

فيجلس إلى مائدتي والحلالة بيده ،

١٩

فإذا أحسست أن معدة حضرتي قد امتلأت ،
مصصت أسناني وأخذت أسائل رجل الأسفار وأحاوره .
فأتكى على مرفقي .

وأوجه إليه الكلام قائلاً :

« أود أن أسألك . »

١٩٥

فبادر بالإجابة ، كما هي الحال في كتب الأطفال :

« إني طوع أوأمرك يا مولاي ، وتحت تصرفك ، وفي خدمتك »

فأقول له : « كلا يا سيدي ،

بل أنا الذي في خدمتك يا سيدي العزيز . »

وهكذا يضيع الوقت دون أن يعرف المحيب ما يريد السائل

٢٠٠

في تبادل التحيات والمجاملات ،

تتخللها الإشارات من آن لآن إلى جبال الألب ، والآيين ،

والبرانس ونهر البو .

وتحين ساعة العشاء .

ومع ذلك فإن هذه هي الحياة الاجتماعية الراقية ،

٢٠٥

التي تلائم من كان مثلي تسمو به روحه إلى المعالي ،

إن من لم يعرف كيف يداهن الناس ،

ليس خليقاً أن يكون ابن هذا الزمان بحق ،

وإني بلا شك ولد غير شرعي ، سواء عرفت أم لم أعرف ،

ولن يكون مطهر هنا في ملبسى وشعارى ودروعى
بل سيظهر ذلك في طباعى وميولى
وما أكيله للناس من ملق ودهان يتناسب مع روح الزمان
أتعلمهما لا لأخدع الناس
بل لأتقى الخديعة

٢١٠

فإني سأعرض لكثير من الملق والنفاق ينثر أمامى ،
وأنا أرتقى سلم المجد ، كما ينثر الزهر .

٢١٥

ولكن ، ترى من القادم المقبل علينا فى بزة الراكب ؟
إنها مركبة امرأة ، لكن أليس لها زوج
يكلف نفسه عناء النفخ فى البوق ليعلن عن مقدمها ؟
(تدخل السيدة فولكنبرديج ، ومعها جيمس حورى)

٢٢٠

ويلي . إنها أمى — ما خطبك أيتها السيدة الطيبة .
ما الذى جاء بك إلى القصر بسرعة على هذه الصورة .
السيدة فولكنبرديج : أين أخوك . أين ذلك العبد ؟

أين ذهب الشرير الذى يهين شرفى ويشهر بى ؟

الدعى : أتعنين أخى روبرت ؟ ابن الشيخ السير روبرت ؟

كولبراند العملاق . ذلك البطل الجبار . وانفتى الهمام
المغوار ؟

٢٢٥

أهو نجل السيد روبرت . الذى جئت فى طلبه على هذه
الصورة ؟

- السيدة فولكنبرج : نجل السير روبرت أجل أيها الفتى الوقح ،
 أريد ابن السير روبرت ، وما بالك تزدري السير روبرت ؟
 إنه ابن سير روبرت كما أنك أنت أيضاً ولده .
- ٢٣٠ الدعى : أى جيمس جورنى ، هل لك أن تتركنا وحدنا لحظة ؟
 جورنى : عن طيب خاطر يا عزيزى فليب .
 الدعى : فليب ! هذا اسم لعصفور يا جيمس
 وهناك أنباء جديدة سأحدثك عنها بعد قليل .
 (يخرج جورنى)
 إني يا سيدتى لم أكن يوماً ابناً لسير روبرت الشيخ .
 ولو أن سير روبرت تناول وهو صائم
 الجزء الذى يخصه منى لما أفطر بتاتاً .
- ٢٣٥ وما كان أجدر سير روبرت أن يعترف بالحقيقة !
 أكان فى وسعه أن ينجبنى ؟
 محال أن يستطيع ذلك سير روبرت ، ونحن نعرف
 النوع الذى يستطيع صنعه .
 إذن خبر نى أيتها الأم الطيبة ، منذا الذى أنا مدين له
 بهذه الأطراف ؟
- ٢٤٠ إن سير روبرت ليعجز عن صنع هذه الساق .
 السيدة فولكنبرج : أترأك قد تواطأت مع أخيك أنصاً

مع أن من مصلحتك أن تذود عن شرفي ؟
 ما معنى هذه السخرية والتحقير ، أيها الوغد البذئ
 اللسان ؟

الدعي : بل فارس عظيم ، كأعظم الأبطال ، أيها الأم الطيبة ،

لقد منحت لقب الفروسية وليست شارتها على كتفي ، ٢٤٥

ولكني يا أماء لست ابناً لسير روبرت ،
 وقد أعلنت براءتي من سير روبرت ومن أراضيه
 وضحيته بالاسم والحقوق المترتبة عليه .

خبريني إذن ، من أبي أيها الأم الكريمة ،

ورجائي أن يكون رجلاً يليق بي ، فمن هو يا أماء ؟ ٢٥٠

السيدة فولكنبرج : هل تيرأت إذن من الانتساب إلى فولكنبرج ؟

الدعي : كما أبدأ — بنفسي الشدة — من الانتساب إلى الشيطان .

السيدة فولكنبرج : أبوك الملك ريتشارد ، قلب الأسد .

لقد أغراني بعد إلحاح طويل وعنيف ،

أن أفسح له مكاناً في فراش زوجي

٢٥٥

فاللهم اصفح عني ولا تجزني بخطيئتي .

لقد كنت أنت ثمرة هذا الذنب الأليم ،

الذي دفعت إليه دفعاً ، لم أستطع له مقاومة .

والآن ، تعالى أيتها السيدة ، حتى أعرفك بأقاربي .
وسيقولون لك إنك لو كنت أبيت أن تتجيبني من
ريتشارد

لكان ذلك هو الخطيئة بعينها .
ومن يقل خلاف ذلك فهو كاذب ، أما أنا فأقول إن
هذه لم تكن خطيئة .
(يخرجان)

الدعي : قسماً بهذا الضياء^(١) لو أنى ولدت مرة أخرى يا سيدتى
لما وددت أن يكون لى أب خير من هذا الأب .
٢٦٠
إن لبعض الخطايا ميزات تظهر أثناء الحياة .
وهكذا كانت خطيئتك . إن ذنبك لم يكن عن خفة
وطيش ،

فما كان يسعك إلا أن تجعلى قلبك طوع بنانه ،
خاضعاً خضوعاً تاماً لحب جارف ، وبأس شديد ،
٢٦٥
يعجز الأسد الذى لا يهاب شيئاً ،
أمام صولته وقوته . أن ينافح أو يكافح ،
أويحمى قلب ملك السباع من سطوة ريتشارد .
وأهون على الذى ينتزع قلوب الأسد الضواري من
صدورها .

أن يستولى على قلب امرأة .
أجل يا أماء ! لاني لأشكرك بكل قلبي على أن منحتنى
٢٧٠
هذا الود !
وأويل لمن يجراً فيقول إنك أخطأت فيما فعلت .
فإني خليق أن أرسل روحه إلى الجحيم .

(١) هذا هو المعنى وهو قسم يتكرر كثيراً في مسرحيات شكسبير وهكذا نفسه
الشروح الموحدة في طبعة أردن .

الفصل الثانى

المنظر الأول

(فى فرنسا أمام مدينة آنجيه (١))

(يدخل من أحد الجانبين أرشدوق النمسا وجنده . ومن الجانب الآخر
فليب ملك فرنسا وجنوده ولويس وكنتانس وآثر والحاشية .)

لويس : لقاء سعيد ، رجل النمسا الباسل ،

الملك فليب : أى آرثر ، إن سلفك العظيم وتشارد

الذى سلب الأسد قلبه ،

وخاض غمار الحرب المقدسة فى فلسطين ،

قد لقي حتفه قبل الآوان ، على يد هذا الدوق الشجاع ،

وقد جاء الدوق اليوم إلى هنا ،

استجابة لرجائنا ،

لكى يقدم لخلفه ما يستطيعه من ترضية ، بأن يحشد

(١) آنجيه Angers ، عاصمة آنجو Anjou قديماً - والآن عاصمة مقاطعة

الوار والمين ، تقع شمال نهر اللوار . باشرة فى مجراه الأوسط على بعد ١٩٠ ميلا من باريس
إلى الجنوب الغربى منها ، وإلى الشرق من نانت ، كثيراً ما كانت ميدان نزاع وحرب .

كتائبه لنصرتك أيها القتي ،

ويرد كيد ذلك الغاصب ،

عملك الشرير جون الإنجليزى .

فابذل له الحب وعانقه ، ورحب بمقدمه .

: الله يغفر لك موت قلب الأسد ،

لا سيما أنك الآن تمنح الحياة لخلفه ،

وترعى حقوقهم ، وتبسط فوقهم أجنحة جيشك .

إنى أرحب بك أطيّب الترحيب ، بيد لا حول لها ولا قوة ،

ولكن بقلب ملؤه الحب الطاهر البرىء .

فرحباً بك أيها الدوق أمام أبواب أنجييه .

: يا لك من قتي نبيل ، من ذا الذى يأبى تأييدك ونصرك .

ن : إنى أطبع هذه القبلة الحارة الطاهرة على خدك ،

أسجل بها عهد المحبة والوفاء ،

على ألا أعود إلى وطنى حتى تستولى على أنجييه ،

وعلى ممتلكاتك فى فرنسا ،

وحتى تخضع لك تلك الشواطئ الشاحبة البيضاء^(١)

التي ترتد من سفوحها أمواج المحيط الهائلة خائبة مدحورة ،

واطئ^١ انجلترا المقابلة لفرنسا صخورها بيضاء ، وهذا سبب تسمية إنجلترا

ولنسدد مدافعنا إلى جبهة تلك البلدة العنيدة ،
ولندع صفوة رجائنا ، وأكثرهم تجربة ودراية ،
ليختاروا لها أحكم المواقع ،
وسيان إن ثنّثرت عظامنا أمام هذا البلد ،
وخضنا إليه بحرّاً من الدماء الفرنسية ،
ما دمنّا بذلك نخضعها لسلطان هذا الفتى .

س : على رسلك حتى يأتبك رد السفير الذى أرسلته ،
لكيلا تخضب سيوفك بالدماء من غير موجب ،
لعل اللورد شاتليون يحمل إلينا من إنجلترا فى سلم ،
ما ننشده الآن بالحرب .
وإلا كنا خليقين أن نأسف لكل قطرة دم سفكت
بسبب هذه العجلة والتهور .
(يدخل شاتليون)

يب : لقد تحققت رغبتك يا سيدتى ، بما يشبه المعجزة .
فها هو ذا رسولنا شاتليون عاد !
حدثنا بإيجاز ، أيها السيد الكريم ، بما قاله ملك
الإنجليز ،

وسنصغى إليك فى هدوء . تكلم يا شاتليون .
: إذن فاصرفوا جيوشكم عن هذا الحصار التافه ،

والتي تحوط أهل الجزيرة وتقيهم من العدوان الأجنبي ،

٢٥

وسألازمك حتى تحييك ملكاً لها لإنجلترا ،

التي يخف بها البحر من كل جانب ،

تلك القلعة التي تحصنت وراء أسوار من الماء ،

فباتت على الدوام في مأمن من كل مطمع أجنبي

إلى آخر ركن من أركانها في الغرب^(١) .

٣٠

فإلى أن تتربع على عرشها ، يا زين الشباب .

لن أفكر في بلدي وأهلي ، بل في الحرب والقتال ،

كنستانس : تقبل إذن أجزل الشكر من والدته ، شكر أرملة عاجزة ،

إلى أن يحين الوقت . الذي يصبح فيه ، بفضل قوة

ساعدك ونصرتك له .

قادراً على أن يجزى حبلك بما يستحقه من التقدير والوفاء .

٣٥ الأرشيدوق : سلام الله وبركته على الذين يجردون سيوفهم ،

في حرب كهذه ، لنصرة العدالة والخير .

الملك فليب : إذن هلم إلى العمل !

(١) سيجد القارئ في هذه المسرحية - كما في أدب عصر إليزابيث كله - إسرافاً في إطراد البلاد وجنودها وامتعتها . سببه النعرة الوطنية التي سادت إنجلترا وقت حملة الأسطول الأسباني وفشل الحملة . وكثيراً ما تكون عبارات الإطراد بلون مناسبة ولا يبررها المقام أو سياق الحديث .

واحشدوها بقوة لما هو أجل وأخطر .
 إن مطالبكم العادلة قد أهاجت ملك إنجلترا ،
 فحشد جيشه . وأمكنه أن ينزل كتائبه كلها على شواطئنا
 في نفس الوقت الذي وصلت فيه .
 وذلك بسبب الرياح المعاكسة التي عاقت مسيرى .
 وهو يزحف بسرعة على هذه البادية
 بجيش قوى وجنود شديدي الاعتداد بأنفسهم .
 وقد جاءت معه الملك الأم .
 وهى كشيطان النقرة تحثه على العنف وسفك الدماء ،
 ومعها حفيدتها بلانش ، الأميرة الأسبانية .
 ويصحبهم جميعاً ابن غير شرعى للملك الراحل ،
 وجميع العناصر المتدمرة في البلاد ،
 من كل جرى . مستبسل لا يبالي ،
 ومتطوع يلتهب حماسة :
 مرد الوجوه كأنهم نساء ،
 ولكن صدورهم امتلأت حقداً كحقد الثنين ،
 يحملون شاراتهم على ظهورهم في زهو وكبرياء ،
 وقد باعوا كل ما يملكونه في ديارهم ، لعلهم أن ينالوا
 ها هنا ملكاً جديداً ،
 وصفة القول أنه لم يسبق للسفن الإنجليزية أن حملها الموج

٥٥

٦٠

٦٥

٧٠

وعلى ظهورها صفوة مختارة
أكثر دربة وإقداماً من هذا الجيش ،
الذى جاء لينشر الفساد والأذى فى العالم المسيحى
الصميم .

(يسمع دق طبول)
ها هى ذى طبولم الوقحة تقطع على حديثى ،
وتغنيى عن الإفاضة فى الوصف .
لقد دنت منا ، تريد المفاوضة أو القتال ، فخذوا
حذرکم .

الملك فليب . يا لها من سرعة لم يكن يتوقعها أحد !
٨٠ الأرشيدوق : إن يقظتنا واهتمامنا بالدفاع
يجب أن يتناسباً مع قلة توقعنا ،
لأن الشجاعة تكبر بمقدار ما يكبر الخطب .
دعهم يحضروا على الرحب ، فإننا على استعداد للقائهم .
(يدخل الملك جون واليانور وبلانش والدعى ، وبعض النبلاء والجنود)
الملك جون : السلام على فرنسا ، إذا قبلت فرنسا أن ندخل بسلام ،
أرضنا وديارنا التى ورثناها بحق عن أجدادنا .
٨٥ وإلا فليسفك دم فرنسا ، وليصعد السلام إلى السماء .
إننا نحن غضب الله قد بعثنا ، لكى نحدد من ذلك

الكبرياء المزوج بالاحتقار ،

والذى طار بسببه سلام الله من الأرض إلى السماء .

الملك فلهب : السلام على إنجلترا ، إذا عاد هذا الجيش أدراجه
من فرنسا إلى إنجلترا ، حيث يستطيع أن يعيش في
سلام .

٩٠

إننا نحب ملك إنجلترا ، وفي سبيل إنجلترا

يتصعب عرقنا اليوم من ثقل هذه الدروع .

لقد كنت أنت الجدير بأن تحمل العبء الذى نحملة
الآن (١) ،

ولكنك بعيد كل البعد عن حب ملك إنجلترا ،

بحيث أخذت تقوض دعائم ملكها الشرعى ،

٩٥

وتقطع جبل الوراثة المطردة .

وتعتدى على مكانة فتى صغير .

وتنتهك حرمة تاج لم يزل بكرأ .

انظر إلى هذا الحميا ، تر وجه أخيك جفرى :

عيناه وحاجباه قد صيغا من عيني أخيك ومن حاجبيه ،

١٠٠

وهذا الجسم الناشئ الصغير قد اشتمل على الجسم

(١) أى تعاون ابن أخيك على استرداد ملكه مما فى ذلك حصار آنجيه وتسليمها له

بعد الاستيلاء عليها .

الكبير ،

الذى قضى بوفاة جفرى ،

ويد الزمان كفيلة بتنشئة هذا الصغير حتى يكون
عظيماً جسيماً .

لقد كان جفرى أخاك الأكبر وشقيقك .
وهذا هو نجله . وكان جفرى صاحب الحق فى عرش
إنجلترا ،

١٠٥

وهذا ابنه ووريثه .

فكيف بالله جاز لك أن تدعى ملكاً ،

والدم الحى ينبض بقوة فى هذا الجبين ،

صاحب التاج ، الذى اغتصبته ؟

١١٠ الملك جون : ممن أخذت يا عاهل فرنسا هذا التوكيل الضخم ،

الذى يخولك أن توجه التهم وتطلب الإجابة عن كل منها ؟

الملك نليب : من ذلك الحكم الأعلى ، الذى يحرك المشاعر الصالحة

فى كل صدر له شأن وخطر :

حتى يبحث عن العار والفساد فيمحوهما .

ذلك الحكم هو الذى ولانى الوصاية على هذا الفتى ،

وهو الذى خولنى حق مجاهدتك بما ارتكبت من الإثم .

وبفضل معونته سأقتص من الآثم .

١١٥

الملك جون : هيات إنك لتغتصب السلطة اغتصاباً .

الملك فليب : حسبي عذراً أنى بذلك أضرب على يدي الغاصب .
 ١٢٠ اليانور : ومن هذا الذى تدعوه غاصباً يا ملك فرنسا ؟
 كنستانس : دعنى أرد عليها : ابنك هو الغاصب .
 اليانور : تباً لك من وقحة ! تريدن الملك لابنك النّعل ،
 حتى تصبحى ملكة ذات سلطان على العالم !
 كنستانس : إن طهر فراشى وإخلاصى لابنك ،

١٢٥ لم يكن يقل عن طهر فراشك وإخلاصك لزوجك^(١)
 وهذا الفتى أقرب شبهاً فى ملامحه لأبيه جفرى ،
 مما بينك وبين ابنك چون من التشابه فى الخصال
 الشريرة ،

فأنتما كالماء والمطر ، أو كالشيطان وأثناه .
 تزعمين أن ابنى ولد غير شرعى ،
 وأنا أزعم وأقسم أن أباه لم يكن يدانيه فى طهارة مولده ،
 ١٣٠ وأنى له طهر المولد وأنت أمه ؟

اليانور : حبذا أملك هذه أيها الفتى ، التى تصم شرف أهلك .
 كنستانس : وحبذا جدتك هذه أيها الفتى ، التى تصم شرفك .

(١) يرى بعض الشراح فى هذه الجملة تعريضاً بإليانور التى خانت زوجها الأول
 لويس السابع فى فلسطين وطلقت منه بسبب هذه الخيانة وتزوجت هنرى الثانى ملك إنجلترا
 وولدت له أبناءه الثلاثة : ريتشارد وجفرى وچون .

الأرشيدوق : السكون !

الدعى : أنصتوا إلى صوت الحاجب^(١) !

الأرشيدوق : وأنت بحق ، الشيطان عليك ، من عساك تكون ؟

١٣٥ الدعى : إنسان سيكون شيطاناً يسلط عليك ،

ومناى أن أنفرد بك وبالجلد الذى ترتديه^(٢) ،

أنت أيها الأرنب ، الذى جاء ذكره فى الأمثال :

والذى بلغ من شجاعته أن عبث بالحية الأسد بعد أن أضحى جثة هامدة .

انتظر إذن حتى أقبض عليك ، وأقطع جلدك بالسياط ،
أجل وإنى لأقسم على ذلك بأغلط الأيمان .

١٤٠

بلاش : إنما يليق لبس جلد الأسد

بمن انتزع من الأسد جلده !

الدعى : إن هذا الرداء لا يليق عليه

إلا كما يليق جلد القيدس على جسم جمار^(٣)

(١) يريد صوت الحاجب فى المحاكم ودور القضاء . ويلاحظ القارئ كيف يتخذ الدعى موقف العداء من أرشيدوق النمسا لأنه كان عدو أبيه ولا يزال يسخر منه ويهاجمه حتى يقتله فى الفصل الثالث .

(٢) رداء من جلد الأسد ، أخذه الأرشيدوق من ريتشارد بعد مصرعه .

(٣) القيدس اسم آخر لبطل الأساطير اليونانية هركيوليس وقد اتخذ هركيوليس من جلد أسد صرعه رداء له كما اتخذ من رأسه خوذة - ويشير شكسبير فى الوقت نفسه إلى قصة الحمار الذى ارتدى جلد الأسد ولكنه افتضح عندما نهق - وهذه إحدى قصص إسوب المشهورة .

وسوف أخلع عن ظهرك أيها الحمار هذا العبء الذى

يؤوده ،

١٤٥

أو أضربك ضرباً يحطم عظام كتفيك .

الأرشيذوق : أى ثرثار هذا الذى ما برح يصم آذاننا

بكلام كثير لا طائل تحته !

تفضل أيها الملك فليب فمر بالذى ينبغى عمله الآن^(١) .

١٥٠ الملك فليب . ليلزم النساء والحمقى السكون !

وليك أيها الملك جون حقيقة الموقف :

إنى أطالبك بإنجلترا وأيرلندة ، وأنجو وتورين وهين

لآرثر صاحب الحق فيها

فهل لك أن تسلمها جميعاً وتلقى السلاح ؟

١٥٥ الملك جون : أحبّ إلىّ أن أسلم روجى ، وأتحداك يا ملك فرنسا .

وأنت يا آرثر يا صاحب بريتانىا ، ضع يدك فى يدى ،

وسأمنحك من فيض سحى أكثر مما تغنمه لك يد ملك

فرنسا ، المرتعدة فرقاً .

أطعنى أيها الغلام .

تعال إلى جدتك يا بنى .

اليانور :

(١) تمزوا إحدى الطبعمات هذا القول إلى فليب وتضع لويس بدل فليب كما تعزو

الرد إلى لويس .

١٦٠ كنستانس : افعل يا بنى ! اذهب إلى جدتك يا بنى .

أعط جدتك الملك ،

تعطك جدتك برقوة أو كريزة أو نينة .

ما أظرفها جدة !

آثر : سكوناً أيتها الأم الطيبة !

ليتنى كنت دفيناً فى قبرى .

١٦٥ إلى لا أستحق أن يثار من أجلى كل هذا الضجيج .

اليانور : مسكين ، إنه يبكى لشدة خجله من أمه .

كنستانس : العار عارك أنت سواء أصابه العار من أمه أم لم يصبه ،

وليس خجله من أمه ، بل إن ما ارتكبته جدته من العار

هو الذى يستمطر من عينيه هذا اللؤلؤ

الذى يستدر عطف السماء ،

١٧٠

فتكون هذه الحبات البللورية بمثابة الجعل تسما إلى

السماء ،

لكى تحقق الحق فتتنصفه وتنتقم منك .

اليانور : تبا لك ولما ترمين به السماء والأرض من التجديف والإفك .

كنستانس : بل تبا لك ، ولما ترمين به السماء والأرض .

فما أنا بأفاكة ولا مجدفة .

١٧٥

بل إنك تستحلين أنت ومن يلوذ بك

اغتنصاب حقوق هذا الفتى المضطهد وعرشه وممتلكاته ،
 مع أنه أكبر أبناء ابنك ،
 ولولاك لما كان جده نعتاً عاثراً ،
 فهو يكفر عما ارتكبت من المعاصي طبقاً لما جاء في
 أحكام الشريعة الإلهية^(١) ،
 لأنه في الجيل الثاني ممن أخرجهم بطنك ،
 الذي لا يحمل إلا في الخطيئة .
 الملك چون : كفى جنوناً وسفهاً !

١٨٠

كل ما أريد أن أقوله : كنستانس :
 هو أن الله جعل وما اقترفته من هذه المرأة من المعاصي
 عقاباً أنزله بهذا الطفل .
 فهو يجازى بما اجتاحت ، ويحمل عقاباً كان يجب أن
 ينزل بها ،
 وهكذا أراد الله أن تأثم وأن تكون معصيتها أذى لآثر ،
 وكذلك الشرور والآثام التي لا تنفك ترتكبها .
 فيحقيق بهذا الطفل المسكين

١٨٥

(١) إشارة إلى ما جاء في سفر الخروج (الإصحاح العشرين - الآية ٥) من أن
 جرائم الآباء يكفر عنها الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع . وستعود كنستانس في كلامها
 التالي إلى تكرار هذا المعنى بالتفصيل .

١٩٠ كل هذا العذاب من أجلها ، فتباً لها ، ثم تباً لها .

اليانور : يا لك من سفينة جاهلة !

بوسعى أن أبرز وصية تقضى بحرمان ابنك كل حق .

كنستانس : ومنذا يشك في مقدرتك على ذلك ؟ وصية ! نعم لأنها ستكون وصية جائرة !

وصية امرأة^(١) ، وصية أملتها عجوز شريرة فاسدة .

١٩٥ الملك فليب : على رسلك سيدتى ! أقصرى أو الزمى جانب الاعتدال ،

فليس مما يليق بهذه الحاضرة

ترديد الشتائم والعبارات النافرة .

لينفخ أحد الجنود في البوق ،

ليدعو بعض رجال آنجييه إلى السور ، حتى نستمع

إلى رأيهم :

٢٠٠ أيهما يقرون له بحقه : آرثر أو جون .

(ينفخ في البوق ، فيظهر هوبرت من فوق السور)

هوبرت : منذ الذى استدعانا إلى السور ؟

الملك فليب : إنه ملك فرنسا نائباً عن ملك إنجلترا .

الملك جون : بل هو ملك إنجلترا ،

نائباً عن نفسه .

(١) إشارة إلى بطلان وصية المرأة المتزوجة في ذلك الزمن ، نظراً لخضوعها لتأثير زوجها ، وكنستانس ، تقلب الوضع بأن تصف وصية ريتشارد بالبطلان ، لأن التى أملتها أمه .

أى رجال آنجيه ! يا رعيى التى أخلصت لى الحب ،

الملك فليب

: يا رجال آنجيه الخلفاء ، يا رعية آرثر !

إن أبواقنا هى التى استدعتكم لهذه المفاوضة الهادئة .

٢٠٥

الملك جون : من أجل أمر يهمننا ، فأنصتوا إلينا أولاً ،

إن رايات فرنسا هذه

التي حشدت بمرأى ومسمع من بلدتكم ،

قد زحفت إلى هنا لتدميركم ،

وقد امتلأت بطون هذه المدافع ويلا وعذاباً

٢١٠

ونصبت وأعدت لكى تنفث

حديد سخطها ونقمتها نحو أسواركم :

إن عيون مدينتكم لتبصر من خلال أبوابكم الموصدة

كيف أعد هؤلاء الفرنسيون العدة لحصار دموى مرير .

٢١٥

وتخريب لا يعرف الرأفة ،

ولولا قدومنا الساعة ،

لكانت مدافعهم الهائلة

قد اقتلعت صخوره الجيرية الهامدة التى تحيط ببلدتكم

فلا يبق حجر فى موضعه ،

وتتشق فى أسواركم فجوات يتدفقون منها .

٢٢٠

وينشرون الويل والثبور حيث كان يسود الأمن والسلام .

ولكنهم لم يكادوا يشهدون مقدمنا ، نحن مليككم الشرعى ،

الذى استطاع أن يسعفكم بنجدته ،

وأن يعترضهم أمام أبواب مدينتكم .

لينقذ جبهاتها ، ، دون أن تخذش أو تمس بسوء ،

٢٢٥

حتى اضطروا فى حيرتهم إلى طلب المفاوضة ،

وبدلا من أن يزلزلوا أسواركم بالقنابل الملقوفة فى اللهب ،

إذا هم لا يقذفونكم إلا باللفظ الهادئ ،

وبالدخان الذى لا نار له ،

وغايتهم أن يلقوا على أسماعكم عبارات الوهم والتضليل ،

٢٣٠

فإياكم أن تنخدعوا أيها المواطنون الكرام ،

وافتحوا لنا أبوابكم ، فنحن ملككم .

الذى أعياه وجنوده هذا السير السريع إليكم ،

ويلتمس الراحة والمأوى داخل أسوار مدينتكم .

٢٣٥ الملك نليب : بعد أن أفرغ من كلامى أجيونا نحن الاثنين .

انظروا إلى هذا الواقف عن يمينى ،

وقد أقسمت يمينا مقدسة أن أتولى حمايته ورعايته .

هذا بلانتاجيت الشاب ،

ابن الأخ الأكبر لهذا الرجل ،

وهو الملك الشرعى عليه وعلى كل قطر يتمتع الآن
بالسيطرة عليه .

٢٤٠

إن إنقاذ هذا الحق الذى وطئته الأقدام
هو الذى دفعنا لأن نزحف زحف المجاهدين ،
إلى هذه المروج التى أمام بلدتكم ،
ما كان لنا أن نناصبكم العداء
بأكثر مما يفرضه حرصنا الشديد على إغاثة هذا الطفل
المغلوب على أمره ،

٢٤٥

استجابة لدوافع المروءة والدين .
فلتفضلوا إذن بأن تؤدوا الواجب المفروض عليكم
بحق ،
إلى الرجل الذى تدينون له به : ألا وهو هذا الأمير
الشاب .
فإن فعلتم فإن أسلحتنا كلها لن تكون أسلحة إلا بمنظرها
وسيختم عليها ، ويزول أذاها ، كأنها دب على فم
كمامة .

٢٥٠

والقذائف التى ترسلها مدافعنا ،
ستطلق إلى السحب العليا التى لا يمكن مسها بأذى :
ثم نراجع فى رضى وارتياح ،

وليس في سيوفنا فلول ، ومغافرننا لم يلحقها عطب ،
ونعود إلى أوطاننا وفي عروقنا تلك الدماء الحارة ،

٢٥٥

التي جئنا لنسفكها من أجل الاستيلاء على بلدنكم ،
ونغادركم ونساؤكم وأطفالكم في أمن وسلام .

أما إذا سول لكم الغرور رفض هذا العرض الكريم ،
فإن هذه الأسوار القديمة المستديرة التي تحيط ببلدتك
لن تمنعكم من قذائف مدافعنا .

٢٦٠

ولو كان معكم داخل الأسوار

هؤلاء الإنجليز بكل ما لهم من المهارة الحربية .

تكلّموا إذن ! هل لمدينتكم أن تخضع لسلطاننا .

نيابة عن هذا الشاب ، الذي نطلبها باسمه ؟

أو تريدون أن تثور ثأرتنا

٢٦٥

وأن نخوض في الدماء إلى أملاكنا ؟

هوبرت : صفوة القول : إننا رعية ملك إنجلترا ،

من أجله نحافظ على هذه البلدة وعلى حقه فيها .

الملك جون : اعترفوا إذن بمليكتكم ، وافتحوا لنا الأبواب .

هوبرت : هذا ما لا نستطيعه ، ولكنه سنثبت ولاءنا وإخلاصنا

لمن يثبت أنه الملك .

٢٧٠

وإلى أن تحين تلك الساعة ،

سننظل موصدين أبوابنا في وجه العالم .

الملك چون : حسبكم دليلاً على الملك ، أنه يحمل تاج إنجلترا ،
فإن لم يكفكم هذا فإن معى شهوداً ،
ثلاثين ألفاً ، من خيرة أبناء إنجلترا وأشرفهم . ٢٧٥

الدعى . شرعيين وغير شرعيين .

الملك چون : جاءوا ليثبتوا جقنا بأرواحهم .

الملك فليب : وفريق يعادلهم عدداً ولا يقل عنهم نبلاً .

الدعى : وفيهم أيضاً أبناء غير شرعيين .

٢٨٠ الملك فليب : قد وقفوا في وجهه يفتدون دعواه .

هوبرت : إلى أن تتفقوا أيهما أجدر ،

سنمنع مدينتنا عن كليهما ، حتى يفوز بها الأجدد .

الملك چون : إذن غفر الله ذنوب تلك النفوس ،

التي لن تلبث — قبل أن يتساقط الندى هذا المساء —

أن تعجل بالرحيل إلى مقرها الأبدي ،

٢٨٥

بعد أن تلقن أشد العذاب في سبيل عاهل هذه المملكة !

الملك فليب . آمين . آمين ! هلم أيها الفرسان ! اركبوا وتقلدوا سلاحكم

الدعى . يا قديس جورج ، يا من صرعت التنين : ولم تزل

بعدها

ماثلاً على صهوة الجواد أمام باب الحانة التي اختلف إليها^(١) ،

أنجلدنى وعلمنى صنعة الحرب .

(مغاطباً الأرشيدوق) اسمع يا هذا ، لو أنى الآن فى بيتك ،

٢٩٠

أى فى عرينك يا هذا ، وفى صحبة لبؤتك^(٢) .

إذن لوضعت رأس ثور ذى قرنين على جلد الأسد الذى ترتديه

فأجعل منظرك عجبياً .

الأرشيدوق : الزم الصمت ولا تزد !

الدعى : ارتعد فرقاً ، فإنك تسمع الآن أسداً يزأر !

٢٩٥ الملك جون : هلموا بنا نصعد إلى الأرض السهلة

حيث نحشد كتائبنا على أحسن ترتيب .

الدعى : لنسرع إذن ، حتى نظفر بأحسن المواقع فى الميدان .

الملك فليب : فليكن ، ولتقف قواتنا لدى الكتيب الآخر .

إن شعارها هو « الله وحقوقنا »^(٣) !

(١) يسخر الدعى كمادته : والإشارة هنا إلى أن الفديس جورج يرسم دائماً على

ظهر جواد ، وبعض الحانات تتخذ اسمها ، وتعلق رسمه على بابها

(٢) المعنى فى اصطلاح العامة بالإنجليزية ماثلاً لاصطلاح العامة فى العربية .

(٣) هذا شعار إنجليزى ، ولعل ملك فرنسا اقتبسه مؤقناً ، وهو يطالب بحق ملك

إنجلترا .

(يخرج ملك انجلترا وجنده وأتباعه من جانب ، وملك فرنسا وجنده وأتباعه من الجانب الآخر وبعد فترة يدخل منادى فرنسا ، ومعه حدود تحمل أبواقاً)

٣٠٠ المادى الفرنسى : يا رجال أنجيه ، افتحوا أبوابكم على مصاريعها .
لكى يدخل الشاب آرثر دوق بريتانيا^(١) ،
الذى استطاع بمعاونة فرنسا أن يأتى من جلائل
الأعمال اليوم ،

ما استبكى أمهات الإنجليز ،
وقد تناثرت أشلاء أبناءهن على أرض روتها الدماء ،
كم من أرملة أضحت زوجها صريعاً ،
يعانق الثرى المخضب عناقاً جامداً بارداً .
يا رجال أنجيه ! إن النصر اليوم
قد حالف الأعلام الفرنسية الخفاقة ،
كانت خسائرها تافهة ، وها هى ذى تخفق عالية
مظفرة ، وتقرب منا ،

لكى تدخل دخول الفاتحين ،
ولتنادى بآرثر دوق بريتانيا ملكاً على إنجلترا وعليكم .
(يدخل منادى إنجلترا ، ومعه جنود وأبواق)

(٣) بريتانيا المجاورة لنورمنديا من المقاطعات الفرنسية ، وقد كان لآرثر بعض الحق في وراثتها كما سيظهر في نهاية هذا الفصل .

- المنادى الإنجليزي : أبشروا يا رجال أنجيه ! ودقوا نواقيسكم فرحاً ،
 إن الملك جون - ملككم وملك إنجلتره - قد أخذ يدنو ،
 وقد عقد له لواء النصر في هذا اليوم العصيب .
 إن الدروع التي سارت من هنا في لمعان الفضة ،
 تعود الآن حمراء ذهبية مخضبة بدماء الفرنسيين ،
 إن رماح الفرنسيين لم تستطع
 أن تنتزع ريشة واحدة من خوذة إنجليزية .
 وأعلامنا تعود الآن ، وهي مرفوعة ترفعها نفس الأيدي ،
 التي كانت تحملها عندما بدأنا حملتنا .
 وهاكم رجالنا الإنجليز الأشداء ، يعودون ،
 وكأنهم كتيبة من الصيادين المرحين ، وقد اكتسبت
 أيديهم لوناً أرجوانياً
 بعد أن اصطبغت بدماء من ذبح من أعدائهم .
 فافتحوا أبوابكم ، وافسحوا الطريق للظافرين .
 أيها المناديان ! لقد كنا نراقب الجيشين من أبراجنا ،
 ونشاهد الكر والفر ، منذ البداية حتى النهاية ،
 فلم نستطع أبصارنا الحادة أن تبين
 رجحان أحدهما على الآخر فهما في نظرنا سواء .
 وقد كان الدم يعادل الدم ، والضربات تقابلها
 الضربات ،

٣١٥

٣٢٠

٣٢٥ هوبرت

تكافأت القوى . والبأس يقابله البأس .
 فهما في القدر سواء ، وميلنا إليهما سواء ،
 ولا بد لأحدهما أن يثبت أنه أجل وأعظم
 وما دامت الكفتان متعادلتين ، فإننا سنظل نمنع مدينتنا
 عنهما ، ولكن من أجلهما جميعاً .

(يعود ويدخل من جانب الملك جون واليانور وبلانش والدعى ولوردات
 وجنود ، ومن الجانب الآخر الملك فيليب ولويس والأرشدوق والجنود)

الملك جون . أى ملك فرنسا ، ألم تزل لديك دماء تبتغى إراقها ؟
 أتريد باعتراض مجرى حقنا الجارف ، أن تكرهه على

أن يعلو ويتضخم ؟
 ولا بد له في هذه الحال وقد حيل بينه وبين طريقه
 أن يغير مجراه الطبيعي ؟

ويفيض حتى يقتحم حدودك وسواحلك ^(١) .
 وهذا لا بد حادث إذا فسحت المجال لمياهه الفضية
 الصافية .

حتى تتخذ سبيلها في هدوء وأمان إلى البحر المحيط .
 الملك فيليب : أى ملك إنجلترا . إنك في هذه المعركة الحامية ،

(١) يهدد بأن العراك سيتجاوز الأقطار المنازعة عليها إلى الأقاليم التابعة مباشرة
 لملك فرنسا .

لم تنقذ من الدماء أكثر مما أنقذنا نحن رجال فرنسا ،
وأكبر ظني أن ما فقدته أكثر مما فقدناه .

ولإني لأقسم - وأنا أقسم بهذه اليد^(١) ،

التي تدين لها الأقطار التي تظلمها هذه السماء -

٣٤٥

لأخضعنك أنت وكل قوة تعترض أسلحتنا ؛

أو نضيف اسماً ملكياً إلى عداد الموتى ،

فيزدان الثبت ، الذي ينبي عن ضحايا الحرب .

باسم ملكي لقي فيها حتفه^(٢) .

: لشد ما يخلق بك الزهو يا صاحب الجلالة .

٣٥٠ الدمى

حينما يلتهب الدم الملكي العزيز حماسة !

إلا أن الموت ليقتال ضحاياها بأضراس من الفولاذ ،

وما أنيابها وأسنانه سوى سيوف المحاربين .

فهو الآن يلتهمكم التهاماً ويمزق أجساد الرجال

لا فرق عنده بين السوق والمملوك .

٣٥٥

فقيم وقوفكم الآن وجهها لوجه موقف الحيرة والتردد ؟

(١) إما أن تكون اليد هي يد آرثر التي يرفعها فليب أو يده هو . وفي هذه الحال

يكون معنى Glimp هو فرنسا .

(٢) يبدو أن قائمة القتل كانت تقسم إلى بنود حسب درجات الضحايا ومركزهم و

المجنع . وينذر فيليب خصمه بأنه إذا لم يدع ، فإنه سيقتل ، وبذلك يضاف منه ملكي
إلى جانب البنود الأخرى الخاصة بمن دونهم من الضحايا .

هلما فاشهرا حرباً لا رحمة فيها ولا هودة ،
 عودا بنا إلى الميدان المخضب بالدماء أيها الملكان
 العظيمان المتساويان ، واللذان اشتعلت روح كل منهما
 حماسة ،
 ولتكن هزيمة أحكما نصراً وسلاماً للآخر .

هلما إذن إلى الضرب والدماء والموت ، حتى تجيء
 ٣٦٠ ساعة الفصل .

الملك جون : لأى الفريقين يدين أهل هذه المدينة الآن ؟
 الملك نليب : أعلنوا يا أبناء المدينة ولاءكم للملك إنجلتره ، أعلنوا
 تأييدكم للملك إنجلتره ، من مليكمكم ؟
 هوبرت : ملكنا ملك إنجلتره ، حينما نعرف من الملك .
 الملك نليب : اعرفوه فى شخصنا ، نحن الذين نقف هنا لندافع
 عن حقهِ (١) .

٣٦٥ الملك جون : بل فى شخصنا ، ونحن الوكيل العظيم عن أنفسنا ،
 ونحمل هنا سلطان الملك فى شخصنا .
 والسيادة لنا على أنفسنا وعليكم وعلى أهل آنجيه .
 هوبرت : هناك قوة أعظم منا تنكر هذا كله .

(١) وقد يكون معنى hold up his right نرفع أمامكم يده اليمى (يد آرثر) .

- وستظل مغلقين أبوابنا بأمتن الأقفال ،
 حتى يزول كل شك يتردد في صدورنا ، ٣٧٠
 وستظل مخاوفنا هي السلطان المهيمن علينا ،
 حتى يظهر ملك لا يحوم حوله أدنى شك ، فتزول
 مخاوفنا ويزول سلطانها عنا
 الدعى : لعمري إن صعاليك آنجيه هؤلاء ليسخرون منكما
 أيها الملكان العظيمان :
 وهم وقوف آمنون خلف حصونهم ،
 كأنهم نظارة في مسرح يحملقون ويشيرون بأيديهم ٣٧٥
 إلى ما تخوضان من معارك وما ترتكبان من تقتيل .
 وما أجدركما يا أيها الملكان أن تستمعا لنصحي وإرشادي
 وأن تفعلوا كما فعلت الأحزاب النائرة في أورشليم^(١)
 فتتصاحبا ساعة ، وتوجها معا
 أشد ما لديكم من آلات التخريب إلى هذه البلدة . ٣٨٠
 فلتنصب فرنسا وإنجلترا ، في الشرق والغرب ،
 أشد مدافعهما فتكاً وتدميراً ،
 حتى تدك قذائفهما المربعة

(١) الإشارة إلى ماكان بين طوائف من أهل أورشليم من الشقاق ، ثم اتحادهما
 لمحاربة العدو المشترك وهو الرومان .

أسوار هذه المدينة الوفحة ،
ولن أكف عن صرب هؤلاء الأوغاد ،
حتى تنهار من حولهم الجدران ،
وتندروهم عراة كالهواء الطلق .

٣٨٥

وبعد أن يتم لكما ذلك تفرقان قواتكما المتحدة ،
ويستقل كل منكما بجيشه وأعلامه .
وتقفان مرة أخرى وجها لوجه وكل سنان دموى يقابل
نظيره ،

٣٩٠

ثم لا تمضي لحظات حتى ينادى الحظ
حبيبه السعيد من بين صفوف أحد الفريقين .
فيؤثره بالنصر الباهر .
ويحبوه بالنصر المجيد .

٣٩٥

ما رأيكما أيها الملكان العظيمان في هذا الرأي العجيب
الطريف ؟

ألا تريان أنه ينطوى على شيء من الدهاء ؟
الملك جون . إلى وحق السماء التي تظللنا ليعجبني هذا الرأي .

فهل الملك فرنسا أن نوحّد قواتنا
حتى نسوى آنجييه هذه بأديم الثرى ،
ثم نحترّب لنقرر من يكون له الملك ؟

٤٠٠

الدعى : وإذا كانت لك همة الملوك ،

وشعرت بما شعرنا به من الإهانة من هذه البلدة الضالة ،
فإنك خليك بأن تسدد فوهات مدفعيتك
مثلنا على هذه الأسوار الوقعة ،
وبعد أن نسويها بالأرض هدماً وتدميراً ،

٤٠٥

ينقض بعضنا على بعض فى هرج ومرج ، ويذهب
منا من يذهب إما إلى الفردوس وإما إلى الجحيم .

الملك طلب : ليكن الأمر كذلك . من أى الجهات تكون إغارتك ؟
الملك جون : سنرسل الدمار إلى قلب هذه البلدة
من الجانب الغربى .

٤١٥ الأرييدوى . وأنا من الشمال .

الملك طلب : إذن سنقذف بصواعقنا من الجنوب ،
فنصب على هذه البلدة وإبلا من القذائف .

الدعى : (لنفسه) ياها من خطة بارعة ! من الشمال ومن الجنوب

تلقى كل من فرنسا والنمسا بقذائفها فى وجه حليفتها ،
سأدفعهم إلى العمل — هلموا بنا ! هلموا بنا !

٤١٥

هوبرت : مهلا ، واستمعوا لنا أيها الملوك العظام : وتنازلوا بالبقاء
لحظة .

حتى أريكم خطة فيها السلام والوفاق الجميل ،

فتظفرون بهذه المدينة من غير قتال أو جراح .
وتنقدون هذه النفوس الحية ، حتى تموت في فراشها .
وهى التى جاءت ليضحى بها فى الميدان .
ناشدتكم لا تمضوا إلى ما اعتزتم ، بل أنصتوا إلى
أيها الملوك ذوو البأس والسلطان !

٤٢٠

الملك جون : تكلم بلا حرج ، فإننا نود أن نسمعك .
هوبرت : هذه الأميرة بلانش ، كريمة ملك أسبانيا .
تمت بصلة القرابة إلى ملك إنجلترا .
انظروا إلى شبابها الغض ، وإلى شباب هذا الفتى
لويس ، ولى عهد فرنسا ،

٤٢٥

فإذا كان الحب عنيفاً . ينشد الجمال .
فأنى له أن يجده فى صورة أبهى وأجمل منه فى بلانش ؟
وإذا كان الحب تقيّاً نقيّاً ينشد العفاف .
فأين يجده أصفى وأطهر مما هو عند بلانش ؟
وإذا كان الحب طموحاً ينشد النسب الرفيع .
فأى دم أجل وأسمى مما يجرى فى عروق الأميرة بلانش ؟
لقد كملت جمالا وعفافاً وحسباً ،
كذلك ولى العهد بلغ أوج الكمال فى كل شىء .

٤٣٠

فإذا لم يبلغ تمام الكمال فليس ينقصه إلا أن يقال
أنه ليس هي

٤٣٥

وهي أيضاً منزّهة عن كل نقص ،
إلا إذا كان من النقص ألا تكون هو ،
وهو يحكى لنا رجلاً قد بورك نصفه ،
ولا تكمل بركته إلا بمثلها .

وكادت هي أن تبلغ المرتبة العليا في تفوقها الرائع ،
ولكنها لن تبلغها إلا به .

٤٤٠

أجل لإنهما نهران من فضة ،
إذا اتحدا ارتفعت بذلك أقدار الشواطئ التي تحتويهما ،
وستصبحان أيها الملكان ، إذا ما زوجتما هذا الأمير
من هذه الأميرة ،

بمثابة شاطئين يحتويان هذين النهرين ،
بعد أن اتحدا وأصبحا نهراً واحداً ، وأنتما تكتفانه
وتحوطانه .

٤٤٥

إن هذا الاتحاد سيفعل بأبوابنا المحكمة الإغلاق ،
أكثر مما تفعله المدافع الضخمة ،
وإذا تمت هذه الزيجة ،
قمنا على الفور بفتح طريق لكم ،

٤٥٠

لتدخلوا منه بأسرع مما تستطيعه القذائف .
 أما إذا لم يتم هذا الزواج ، فإننا سنكون أشد صمماً
 من البحار النائرة^(١) ،
 وأكثر جرأة من الأسد ، وأشد ثباتاً من الجبال الرواسي
 والصخور الصماء ،

وعزماً أمضى من الموت نفسه
 حين يغلى بأسه ،
 لكي ندودكم عن هذه المدينة .

هذا موقف مفاجئ

: ٤٥٥ الدعى

جدير أن يجعل الموت ينهض وينفض عنه أسماه ،
 وتدب في عظامه الحياة ، وإن أعجب فعجبي من هذا
 المفوه ،

الذى يلفظ الموت والجبال والصخور والبحار .

ويتحدث في سهولة ، عن الأسود وزئيرها المرعد ،

كما تتحدث فتاة في الثالثة عشرة عن كلبها الصغير .

٤٦٠

وأى رجل من رجال المدفعية الأشداء أنجب هذا الرجل
 الشديد البأس ؟

(١) مثل يضرب لمن لا يؤثر فيه نداء أو تهديد .

إن كلامه يحكى المدافع بنيرانها ودخانها وفرقتها .
وفى لسانه مثل العصا يقرع بها أسماعنا .
وما من كلمة فاه بها

٤٦٥

إلا لها وقع أشد من ضربات فرنسا .
وأقسم أنى ما تأثرت قبل بألفاظ على هذا النحو ،
منذ أن بدأت أنطق .

البيانور

: يا بنى ، استجب لهذا الرأى . وأبرم هذا الزواج ،

وقدم مع ابنة أختك منحة كريمة ،

٤٧٠

لأنك بهذا الرباط تؤمن حقك فى التاج ،

الذى يعوزه الآن مثل هذا التأمين ،

وتحرم هذا الفتى الفج من شعاع الشمس ،

الذى يوشك أن يجعل منه ثمرة ضخمة ،

وكأنى أرى علام الرضى فى محيا ملك فرنسا .

٤٧٥

أنظر إليهم كيف يتهايمسون !

فبادر بحشهم على ذلك ، ونفوسهم معدة لقبول هذه

الأمنية ،

لئلا تبرد حساسة فليب ورغبته

فى الأخذ بهذا الاقتراح

وهى الرغبة التى تأثرت بعبارات الاسترحام والرافة والندم

التي نطق بها هوبرت ، فيعود كما كان .
٤٨٠ هوبرت : ما بالكما يا صاحبي الجلالتين ،

لا تستجيبان لهذا الرجاء الودى ، الذى تتقدم به
مدينتنا المهددة ؟

الملك فليب : ليتكلم ملك إنجلتره أولا ،
فهو الذى سبق إلى توجيه الخطاب إلى هذه المدينة ،
فما قولكم ؟

الملك چون : لئن كان نجلكم الأمير ، وولى عهدكم ،
يستطيع أن يطالع عبارة الحب فى صفحات هذا السفر
٤٨٥
الجميل ،

فإن بائنها ستعادل بائنه ملكة ،
فلتكن ولاية آنجو ، وتورين الجميلة ، ومين وبواتيه ،
وكل ما يتبع تاجنا وملكننا فى هذا الجانب من البحر
ما عدا هذه المدينة التى نحصرها الآن —
لتكن هذه كلها

زينة يزدان بها فراش عرسها .
وتجعلها غنية بألقابها ومراتبها ومقامها ،
كما هى غنية بحسنها وثربيتها وحسبها ،
فتصبح بذلك مساوية لأية أميرة فى العالم .

٤٩٥ : الملك نلبي : ما قولك يا بني ؟ هلم وتأمل هذا الحيا .
 لويس : لقد تأملت يا مولاي ، وإني لأجد في عينها
 آية عجيبة . أو قل . أعجب العجب .
 فقد أبصرت خيالي منطبعاً في عينها .
 وهذا الخيال . — وهو خيال نجلك الذي أنجبته —
 قد استحال شمساً وأحال نجلك خيالاً .
 ولعمري إني ما أحبيت نفسي يوماً ،
 حتى أبصرت نفسي الساعة
 مرسوماً على صفحة عينها الصافية البراقة (١) .
 (يتهامس هو وبلائش)
 الدعي : (لنفسه) مرسوم في صفحة عينها البراقة !
 معلق ، كالمنشوق ، في غضون جبينها العابس !
 طريق منبطح في قرارة قلبها ،
 فكأنه يحس أنه في حبه خائن يلقي جزاء خيانتته .
 وأسنى على أن يحظى بمثل هذا الحب مخلوق حقير
 كهذا المرسوم المنشوق الصريح (٢) !

(١) من خصائص « حب القصور » كما يزعم الشراح أن يحب الماشق نفسه ، إذا ما رأى أنه موفق في اختيار حبيبته .

(٢) يسخر الدعي من لويس من حبه لأنه — حسب بعض الروايات — كان يود الزواج من بلائش ، ولم يورد شكبير سوى هذه العبارة للدلالة على هذا الأمر .

بلانش : (تخاطب لويس) إن إرادة خالي في هذا الأمر هي
إرادتي ،

٥١٠

فإذا رأى فيك أمراً أعجبه
فإن ما يراه ويشير إعجابه
في وسعي أن أوفق بينه وبين إرادتي .
أو بعبارة أصح ،
سأحمل نفسي في يسر على أن أحبه .
ولا أستطيع يا سيدي أن أذهب إلى أبعد من هذا .
فأزعم أن كل ما أراه فيك يستحق الحب ،
بل كل ما أقوله إنني وإن كنت ضئيلة في تقديري لك
وفي الحكم عليك
فإنني لا أجد فيك شيئاً يستحق أن يكره .

٥١٥

٥٢٠

الملك جون : وما رأيكما أيها الفتى والفتاة ؟ ما الذي تراه ابنة أختي ؟
بلانش : إنها ستفعل دائماً ما يمليه الشرف

من الاستجابة لرأيكم الذي يمليه العقل على الدوام .
الملك جون : تكلم إذن أيها الأمير ! هل تحس يا ولي العهد بالحب
لهذه الأميرة ؟

٥٢٥ لويس : سألني هل أستطيع أن أكف عن حبها ؟
فلعمري إن كلني بها لصريح بغير تكلف .

الملك چون : إذن لقد وهبتك معها المقاطعات الخمسة :

فولكويسين^(١) ، وتورين ، ومين ، وبواتيه ، وأنجو ،

وأهلبك فوق ذلك

ثلاثين ألف مارك كاملة من النقد الإنجليزي^(٢) . ٥٣٠

فإذا أرضاك هذا يا فليب ملك فرنسا ،

فر ابنك وابنتك بأن يصل يده بيدها .

الملك نليب : لقد أرضاني تمام الرضى ، فاهلم وصل يدك بيدها .

الأرشيوق : أجل ولتصل الشفاه أيضاً ،

فقد كان هذا دون ريب ما فعلته يوم خطبتي . ٥٣٥

الملك نليب : والآن يا أهل أنجيه ! افتحوا أبوابكم ،

لتدخلها هذه الحجة التي خلقتموها .

ولن تلبث حفلة الزواج

أن تقام في كنيسة القديسة ماري .

تري أليست الأميرة كنستانس في هذا الجمع ؟ ٥٤٠

أكبر الظن أنها ليست هنا ،

(١) مقاطعة Volquessen حول بلدة روان في السين الأسفل ، وملك انجلترا في ذلك

الزمن يرجعون إلى أصل فرنسي ، فبقيت لهم ممتلكات فيما ندعوه الآن فرنسا . والمقاطعات الأخرى في حوض نهر اللوار وما يليه .

(٢) المارك في عملة ذلك الزمن قطعة من الفضة قيمتها ١٣ شلنًا وأربعة بنسات .

لأنها لو شهدت هذا الزواج لما تم بهذه السهولة ،
ولكن أين هي وابنها ؟ ليتكلم من يعرف .
لويس : إنها واقفة لدى خيمة سموكم ، يعلوها الحزن والكمد
والغضب .

••• الملك فليب : أجل ولعمري إن هذا الميثاق الذى عقدناه
سيجعل حزنها مما يصعب شفاؤه
أى أخى ملك إنجلترا ، أما من سبيل لإرضاء هذه
السيدة الأرملة ؟

من أجل حقها أتينا إلى هنا ،
ثم تحولنا — علم الله — وسلكنا وجهة أخرى ،
تعلينا مصلحتنا .
••• الملك جون : إنا سنشفي جميع الجراح ،
لأننا سنجعل آرثر الشاب دوقاً لبريتانيا
وأيرلا لرتشمند ،
وسيداً على هذه المدينة الجميلة الغنية .
ادعوا الأميرة كنستانس ،
وليذهب أحد الرسل بسرعة لاستدعائها إلى نحضرتنا ،
ولئن لم نستطع أن نجيبها إلى جميع رغباتها ،
فلإنا نرجو أن نوفق إلى مرضاتها ،

ونكافئها بما يكف من شكواها .
والآن هلم بنا ، ولنسرع ما استطعنا ،
إلى هذا الحفل العظيم ! الذى لم نكن نتوقعه ، ولم نعد
له عدته .

٥٦٠

(يخرج الجميع ما عدا الدعى)

يا له من عالم مجنون ، ويالهما من ملكين مجنونين ،
ويا له من اتفاق جنونى !
فالملك چون ينزل بمحض رغبته عن شطر من ملكه ،
لكى يذود آرثر عن المطالبة بالملك كله .
وملك فرنسا ، الذى أوحى إليه ضميره أن يتدرع ،
ودفعته الحماسة وحب الخير

الدعى

٥٦٥

لأن يغتشى الميدان ، جندياً من جنود الله ،
لم يلبث أن وسوس إليه الشيطان ، ذلك الخبيث المضلل
المغوى ،
الذى لا يفتأ يثنى العزائم ، ويمعن على الدوام فى
تحطيم المواثيق ،

وينقض الأيمان فى كل يوم ،
لا تنجو من سطوته الملوك والصعاليك ، ولا الشيوخ
والشباب ،

٥٧٠

حتى العذارى ،

فالعذراء التي ليس لديها كثر أئمن من هذا اللقب ،
سرعان ما يسلبها إياه ويتركها حليفة البؤس والشقاء .

إن هذا الكائن ، المخادع الناعم الملمس ،

٥٧٥

يهيمن على الجميع ،

ويتملقهم ويغريهم بالمغانم .

فصارت المغنم هي القوة المرجحة في العالم .

ولقد كان العالم متعادلا من تلقاء نفسه ،

تجرى أموره في استقامة وعدل ، وسهولة ويسر .

حتى ظهرت المغنم ، فأخلت بالموازين ، واستهوت

الضمائر والأفئدة ،

٥٨٠

وقضت على كل عدل وإنصاف وقصد واستقامة .

هذه المغنم ، هذه القوة المرجحة ، هذه الفتنة ذات

المقدرة الهائلة على التحويل والتبديل ،

قد طرقت أجفان ملك فرنسا ، السريع التقلب ،

فصرفته عما اعتزم من تقديم العون والمساعدة ،

وحولته عن حرب شريفة . اتخذ لها العنة ، ووطد

عليها العزيمة ،

٥٨٥

إلى سلم أمضاه ، بلغ منتهى الخسة والدناءة .

ولكن ما بالى أسخر من المغنم ، وأمعن فى السخرية ؟
 اللهم إلا لأنه لم يحاول استمالتى بعد ،
 وما أحسب أن بى قدرة على الرفض والامتناع ،
 إذا ما أقبلت دنائيره الذهبية تصافح راحتى .
 ولكن ما دامت كفى لم تتعرض لإغراء بعد ،
 فلانى سأظل أسخر من الأغنياء كما يفعل المتسول
 الصعلوك ،

٥٩٠

معنأ فى السخرية ما دمت فقيراً معدماً .
 أنادى أن ليس فى العالم خطيئة غير الثراء
 حتى إذا صرت غنياً ،
 كان دأبى عندئذ أن أنادى بأن لا رذيلة فى العالم غير
 الفقر .

٥٩٥

ولئن كانت المغنم تدفع الملوك إلى نقض العهود .
 فيا أيها الكسب كن لى سيداً ، أكن لك عبداً .
 (يخرج)

الفصل الثاني

المنظر الثاني^(١)

سرادق ملك فرنسا

(تدخل كُنستانس وآرتور ودوق سالسبورى.)

كُنستانس أحق أنهما ذهابا ليعقدا زواجهما ، ذهابا ليبرما ميثاق

صلح وسلام ؟

فيتحد الدم المشوب بالدم المشوب^(٢) ويرتبط الفريقان

برباط الصداقة !

اتكون بلانش عروساً للويس ، وتنال بلانش تلك

الإمارات ، والمقاطعات ؟

ليس الأمر كما تقول ، ولقد أسأت التعبير ، أو أسأت

الفهم لما سمعت ،

لذلك أنصحك أن تعيد سرد قصتك مرة أخرى .

فمحال أن يكون الأمر كما ذكرت ، بل هى مجرد أقوال

(١) بعض النقاد يحمل هذا المنظر فاتحة الفصل الثالث .

(٢) المشوب غير الصريح ، تزعم كُنستانس ، كما دلتها إذا غضبت أن كلا العروسين ليس خالص النسب .

زعمتها ،

وهيهاث لمثلى أن تصدقك ،

فما ألفاظك سوى أنفاس تتصاعد من فم رجل من عامة
الناس .

فتق إذن أنى لا أتق بصحة كلامك ،

فإن ملكاً عظيماً قد أقسم لى على عكس ما تقول .

١٠

وستنال أنت ما تستحقه من العقاب نظير لإزعاجى على
هذا النحو ،

فأنا امرأة علية ، تتأبى المخاوف ،

وقد لقيت من الظلم ما ملأ نفسى خوفاً .

أرملة^(١) لا زوج لى ، عرضة لأن يعرفنى الخوف ،

وقد ولدت امرأة جد فروقة بطبعها ،

١٥

ولو أنك اعترفت لى الآن بأنك إنما كنت تمزح ،

لما استطعت أن أهدأ ، بعد أن عراني كل هذا

الانزعاج ،

بل سأظل أرتعد وأضطرب يوى كله .

(١) ليس هذا صحيحاً من الوجهة التاريخية فكنسناس كانت أرملة جيوفرى ولكهما

اقتربت حوالى ذلك الوقت بزوجهما الثالث ألقى الفيكوفت ثوراس بعد أن طلق من زوجها
الثانى راتولف إيرل تينسبر .

- ما بالك تهرز رأسك ، وماذا تعنى بذلك ؟
 ومالك تلقى على ولدى نظرات حزن وأسى ؟ ٢٠
 وماذا تعنى بوضع يدك على صدرك هذا ؟
 ولم اغرورقت عينك بالدمع الحزين
 كأنها نهر جارف ارتفع ماؤه إلى حافة شاطئه ؟
 أهذه العلامات الحزينة دليل يثبت صحة ما زعمت ؟
 إذن تكلم مرة أخرى ، ولا تعد سرد قصتك كلها . ٢٠
 بل اذكر كلمة واحدة ، هل القصة صادقة أو
 كاذبة ؟

سالمجورى : إنها صادقة بقدر ما أعتقد أنك تظننيها كاذبة
 وبقدر ما تجددين فيها من أسباب تثبت لك أنى أقول
 الحق .

- كنتانس : لئن كنت تريد أن تعلمنى صدق هذه النكبة ،
 فعلم هذه النكبة كيف تقضى على حياتى . ٢٠
 فلانى أريد أن يلتقى هذا التصديق وأجل المحتوم ،
 كما يتصادم رجلان مستميتان ، قد بلغ بهما الغضب
 أقصاه .

فلا يكادان يلتقيان حتى يغرا صريعين .
 أيزوجون بلانش من لويس ! فأين تذهب أنت

يا ولدى ؟

وإذا تصادق ملك فرنسا وملك إنجلترا ، فماذا يكون

مصري ؟

٣٥

اذهب أيها الرجل ، إلى لا أطيق رؤيتك ،

فإن هذا النبأ جعلك في عيني رجلاً دميماً كريهاً .

السبوري : وماذا جنيت يا سيدتي ، وأى ذنب اقترفت .

سوى أني ذكرت الجرم الذي اجتريه الآخرون ؟

٤٠ كنفانس : إنه لجرم بلغ من الخبث والشناعة

أن كل من يذكره يرتكب إثماً كبيراً .

آرثر : ألتمس منك يا سيدتي أن تلتزم الهدوء .

كنفانس : لو أنك — يا من تريد مني التزام الهدوء —

كنت قبيحاً دميماً ، عارا على الأم التي أنجبتك ،

ملوئاً جلدهك تلويثاً كريهاً وممتلئاً بقاءاً ،

٤٥

أعرج ، أحمق ، وأشل أحذب ، أسود السحنة .

مشوه الخلق ، مرقع الوجه بالشامات القذرة - والوصفات

الزرية .

لما اكترثت لشيء ، وكنت خليقة أن ألتزم الهدوء ،

لأنني كنت عندئذ لا أضمر لك حباً ،

ولم تكن أنت جديراً بشرف نسبك ، ولا تستحق

التاج ،

٥٠

غير أن الأمر بخلاف ذلك ، فأنت وسيم جميل .
وقد اتفقت الطبيعة والحظ عند مولدك . على أن تجعلاك
عظيماً ،

وقد وفّت الطبيعة بما وعدت
وفي وسعك أن تفاخر الرياح والورد في أكماله بما أغدقته
عليك من الهبات ،
أما الحظ فقد خانك ، إذ استطاعوا أن يغروه ويصرفوه
عنك ،

٥٥

وهو مع ذلك لا ينفك يداعبك عموك چون في كل ساعة
وقد وضع يده الذهبية في يد ملك فرنسا .
ليطأ منك من محقوق السيادة . . .
وتسخر نجالاته تسخيراً دنيئاً لغرضهما
إن ملك فرنسا قد أغواه الحظ ، . كما أغواه چون :
الحظ الفاجر وچون الغاصب . .

٦٠

خبرني يا هذا ، ألم ينقض ملك فرنسا عهده وميثاقه ؟
اذهب إليه فاسقه بمن الكلام سماً زعافاً يقتله .
والأفابتعد عني ودعني وحدي لهذه الولايات ،
التي لا يحملها غيري .

٦٥ سالسبورى :

عفواً يا مولائى .

فلانى لا أستطيع العودة إلى الملكين إلا معك .

كنستانس :

بل تستطيع ، وعليك أن تعود ولن أذهب معك ،

لأنى أريد أن أعلم أحزاني الكبرياء والأنفة ،

فإن الكبرياء من دياب الأحزان وهى تذل الأعناق .

دع الملوك يحضروا إذن ، ليشهدوا بى وحزنى .

٧٠

إن حزنى من الضخامة

بحيث لا تستطيع حمله سوى هذه الأرض الضخمة

الثابتة .

فلأقيم أنا وأحزاني على هذه الأرض ،

فلأنها هى عرشى ، وليأت الملوك ، ويركعوا لديها .

(تجلس على الأرض ويخرج سالسبورى) .

الفصل الثالث

المنظر الأول

سرادق ملك فرنسا

كنتانر وآرثر جالين ، يدخل الملك چون والملك فليب ،
ولويس وبلاتش . وإليانور والدعي ، وأرشدوق النمسا ، والسبورى
والخاشية .

الملك فليب : إن الأنبا صدق يا ابنتى العزيزة .

وسيكون هذا اليوم المبارك يوم عيد فى فرنسا دائماً ،

وقد أرادت الشمس الباهرة أن تحتفل بهذا اليوم .

فظلت مشرقة ساطعة .

وكانت كالكيمائى ترسل أشعها الوهاجة إلى الأرض

الجافة المجربة ،

فتسحيل ذهباً براقاً .

إن الدورة السنوية ، التى تعيد إلينا هذا اليوم

ستشهد فيه دائماً يوماً مقدساً .

كنتانر : بل يوماً شقيماً منكوداً . لا يوماً مقدساً ! .

(تنهض واقفة)

ما الذى امتاز به هذا اليوم ، وما الذى صنعه ،

١٠

ليستحق أن يسجل بأحرف من ذهب

فى التقويم الرسمى ، بين الأعياد الرئيسية ؟

بل الأجدر بكم أن تمحوه من أيام الأسبوع ،

لأنه يوم عار وظلم ونقص للأيمان .

وإذا كان لابد لهذا اليوم أن يبقى

١٥

فعلى كل زوج حامل أن تبتهل إلى الله ألا تضع حملها

فى هذا اليوم ،

لكيلا تخلف الأقدار ظنها وآمالها ،

وعلى كل ملاح أن يتعرض للأخطار فى أى يوم عدا

هذا اليوم ،

ولتعقد الصفقات فى أى يوم غير هذا اليوم ،

فإن كل شيء مبتدأه فى هذا اليوم لابد أن يسوء

منها ،

٢٠

بل إن الأمانة نفسها لتتحول فيه إلى خيانة جوفاء .

الملك فليب : وحق السماء ياسيدتى ، لن ندع لديك سبياً ،

يحملك على أن تصبى لعناتك على الأحداث السعيدة

التي تمت فى هذا اليوم ،

ألم أجعل جلالته ملكي ، رهناً لديك ؟

٢٥ كنستانس : لقد خدعتني بجلالة زائفة .

ليس فيها من الجلالة سوى مظهرها ، حتى إذا لمسها
وبلوتها ألفتها لا قيمة لها ،

لقد نقضت أيمانك ، نعم نقضتها ،

فلقد أتيت بأدركك وسلاحك لكي تسفك دماء أعدائي ،
ثم لم تلبث أن بسطت الأذرع لتحترضهم وتشد أزهم .

وضاعت سطوة الحرب وصوله القتال

٣٠

وسط مظاهر المحبة والود المصطنع .

إن هذا الاتفاق لم يحم إلا على ظلمنا واضطهادنا .

فيأ أيتها السموات العلية ! سلطى أسلحتك الفتاكة على
هؤلاء الملوك الحائثين !

هذه صيحة أرملة ، فاستجبي لي أيتها السموات ،
وكوني لي زوجاً !

ولا تدعي الساعات في هذا اليوم اللعين ،

٣٥

تمضي في أمان وسلام ، بل أثيرى الشقاق والنزاع
المسلح

بين هذين الملكين الحائثين ، قبل أن تغرب الشمس .

استجبي لي ، ألا فاستجبي لي !

يا سيدتي كنستانس ، الزمي السكون .
 كنستانس : بل الحرب ، الحرب ، لا سكون ولا سلام ، إن هذا
 السلام في نظري هو الحرب بعينها .

أى أمير النمسا وليموج !
 إنك تلتطخ بالعاري هذا الرداء الذي سلبته في الحرب (١) ،
 أيها العبد التعس الجبان !

يا لك من شخص ضئيل الشجاعة عظيم الخسبة والندالة .
 حريص أبداً على الانتصار للجانب القوى .

ومخالفة من حالفه الحظ ، فلا تجرد السلاح إلا والحظ
 عن كسب ، يهديك سبيل الفوز والنجاح

إنك أنت أيضاً حنث . وذهبت تتملق الجاه والسلطان
 فيالك من أحق يقصول ويحول ، ويتشدد ويضرب
 الأرض برجليه ،

ويقسم الأيمان على نصري وشد أزرى !

أنت أيها العبد الفاتر الهمة ،

ألم تقل في تأييدي كلمات كأنها الرعد القاصف ،

وتقسم أنك محاربي المختلص ، وتناشدني

(١) إشارة إلى الخجلة المأيد الذي استولى عليه من روينشارد .

أَنْ أَعْتَمِدَ عَلَى طَالْعِكَ السَّعِيدِ وَجَدَكَ الْمَيِّمُونَ . وَعَلَى
قَوْتِكَ الْهَائِلَةِ ،

ثُمَّ تَنْقَلِبُ الْآنَ إِلَى جَانِبِ أَعْدَائِي ؟
أَمْثَلُكَ يَرْتَدِي إِهَابُ الْأَسُودِ ؟ يَا لِلْعَارِ !
اخْلَعْهُ بِاللَّهِ . وَالْبِيسَ جِلْدَ عَجَلٍ عَلَى هَذَا الْجَسَدِ الْخَائِرِ
الْوَاهِي .

٥٥

الْأُرْشِيدُوتُ . لَوْ أَنَّ رَجُلًا نَطَقَ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ !
الدَّعَى : وَالْبِيسَ جِلْدَ عَجَلٍ عَلَى هَذَا الْجَسَدِ الْخَائِرِ الْوَاهِي .
الْأُرْشِيدُوتُ : لَنْ تَجْرُوْا يَا شَقِيَّ عَلَى تَرْدِيدِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ خَوْفًا عَلَى
حَيَاتِكَ .

الدَّعَى : وَالْبِيسَ جِلْدَ عَجَلٍ عَلَى هَذَا الْجَسَدِ الْخَائِرِ الْوَاهِي .

٦٠ الْمَلِكُ چُونُ : أَكْفَيْتَ عَنْ هَذَا . إِنَّكَ لَتَنْسَى نَفْسَكَ .
(يَدْخُلُ پَانْدُولْفُ)

الْمَلِكُ فُلَيْبُ : هَا هُوَ ذَا مَنْدُوبُ قَدَاسَةِ الْبَابَا .

پَانْدُولْفُ : أَحْيَيْكُمْ يَا خُلَفَاءَ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ .
وإِلَيْكَ يَا مَلِكُ چُونُ أَحْمِلْ رِسَالَةَ مَقْدَسَةٍ :
أَنَا پَانْدُولْفُ ، كَرْدِينَالُ مَدِينَةِ مِيلَانِ ،

ومنتوب البابا إنوسنت^(١) في هذه الديار^(٢) .

٦٥

أسألك باسمه وبحق الدين ،

لماذا دأبت على ازدراء الكنيسة ، أمنا المقدسة ،

ومنعت بالقوة ستيفن لانجتون ،

الذي اخترناه رئيساً لأساقفة كنتربري ،

من ممارسة سلطاته المقدسة ؟

٧٠

هذا هو السؤال الذي أوجهه إليك

باسم والدنا الأقدس ، السابق ذكره ، البابا إنوسنت .

الملك جون : عجباً كيف جاز لشخص من التراب

أن يوجه الأسئلة إلى مقام الملوك المقدس الرفيع ؟

إنك أيها الكردينال لن تجد لاستجوابنا

٧٥

حجة أكثر تفاهة وحقارة ،

وإثارة للسخرية ، من البابا .

فعليك أن تبلغه ذلك ، وأن تضيف إلى هذا ما تسمعه

الآن من لسان ملك إنجلترا :

إتنا لن نسمح لقسيس إيطالي

(١) هو إنوسنت الثالث ، من أكبر الحريصين على السلطة البابوية .

(٢) لقد خلط شكبير بين پاندولف هذا منتوب البابا وبين پاندولف الكردينال
كما خلط بينهما غيره من الكتاب .

أن يحبي ضريبة أو جزية في بلادنا ،
وإن كنا نحب صاحب الكلمة العليا
بإذن الله ، وبإذنه تعالى .

٨١

نتولى للحكم والسلطان ،
دون حاجة لأن تسندنا يد آدمية .

أبلغ البابا هذا وقل له...

٨٥

إنه ليس له ولا لسلطانه المغتصب عندنا أى احترام .

الملك فليب : أخى ملك إنجلترة إنك بهذا ارتكبت تجديفاً .

الملك جون : لئن رضيت أنت وجميع ملوك النصرانية

جهلاً منكم وغباوة بزعامة هذا القسيس

خوفاً من أن تلعنكم تلك اللعنة ، والى تنق ، بالمال ،

٩٠

وقبلتم أن تشتروا الصفح والغفران بالذهب الخسيس

الذى لا تعلق قيمته على التراب

من رجل لا يبيعكم غفران الله ،

بل غفرانه هو الفاسد الذى لا قيمة له ،

لئن رضيت أنت والآخرون بهذه القيادة الغبية ،

وأن تشتروا الشعبذة بالمال ،

٩٥

فإنى أنا وحدى سأعارض ذلك البابا ،

وأعد أصدقاءه من أعدائى .

پاندولت : إذن فإني بما لي من السلطة الشرعية ،

أقضى عليك باللعنة والحرمان ،

ولتحل البركة على كل من يثور

وينقض ولاءه لكافر مارق ،

وطوبى لتلك اليد —

ولصاحبها التكريم والتقدير .

التي تغتال بطريقة خفية

حياتك الشريرة الكثرية .

ألا فليكن من حقى الشرعى

أن أضيف لعنتى إلى لعنة روما .

فيا والدى الطيب الكردينال سألتك أن تطلب إلى الله

أن يستجيب للعناتى الحادة

فلن يستطيع لسان أن يصب عليه اللعنات إلا متأثراً

بما لحقنى من الأذى والضرر .

پاندولت : إن اللعنة التى أوجهها يا سيدتى تستند إلى القانون

والمواثيق .

كنستانس : وكذلك لعناتى . ولئن عجز القانون عن إحقاق الحق ،

فقولوا إن القانون يقضى ألا يمنع القانون الظلم .

لقد عجز القانون هنا عن إعطاء ولدى حقه في الملك ،
لأن الذي بيده ملكه بيده القانون أيضاً ،

فإذا كان القانون نفسه قد أصبح باطلاً كل البطلان ،
فكيف يجوز للقانون أن يحرم على لسان أن يصب
اللعنات^(١) .

باندولف : أي فليب ملك فرنسا ، إني أنذرك بأن ستحل بك اللعنة
إذا لم تنزع يدك من يد هذا الملحد الخاسر .

ثم احشد قوى فرنسا لمحاربته ،

ما لم يخضع لروما الخضوع التام . ١٢٠

إليانور : أترأك اصفر وجهك يا ملك فرنسا ؟ إياك أن تنزع
يدك من يده .

كنستانس : أجل أيتها الشيطانة ، تخافين على ملك فرنسا أن يدركه
الندم ،

ويتزعزعه ، فيتنجو من عذاب السعير .

الأرشيديوك : أيها الملك فليب ، ناشدتك أن تستمع لقول الكردينال .

١٢٥ الذي : وعلق جلد عجل على جسده الخائر الواهي .

الأرشيديوك : أيها الشقي ، لا بد لي أن أحتمل هذه الإهانات

(١) تخلط كنستانس بين القانون الذي أعطى الملك چون حقه في الملك ، وبين
قانون الكنيسة الذي يحرم على كل إنسان أن يلعن .

لأنى -

الدعى : احتملها فى جيوب سراويلك . فهى أفضل مكان لها .

الملك جون : أى فيليب ، ماذا تقول رداً على الكردينال ؟

كنستانس : وماذا عساه أن يقول غير ما يقوله الكردينال ؟

١٣٠ لوبس : وازن يا والدى بين الأمرين :

بين أن تحل بك لعنة روما ، وهى عبء ثقيل

وبين فقدان صداقة إنجلتر ، وهذا أخف وقعاً ،

اختر أهون الضررين .

بلانش : أهونهما لعنة روما .

كنستانس : الثبات يا لويس ، ولا تستمع لإغراء إبليس

فى زى عروس لم تقترن بها بعد . ١٣٥

بلانش : إن السيدة كنستانس لا يحدوها الإيمان

بل الغرض .

كنستانس : لو أنكم أعتمدونى فى شدى

التي لا بقاء لها إلا لعدم وفائكم بعهودكم ،

لكان فى ذلك تصديق للمثل المشهور :

إن الإيمان يبعث من جديد . إذا قضى الغرض وذهبت

الشدّة .

فإن أردتم أن تحيا العهود فاقضوا على شدائدنى

أما إذا أبقيتُم عليها فإنكم بذلك تقضون على العهود والمواثيق .

الملك جون : إن ملك فرنسا متأثر ، لا يحجر جواباً .
 كنستانس : ابتعد عنه ، وأحسن الجواب .
 الأرشيديوق : أجل أيها الملك فليب افعَلْ هذا ولا تتعلق بأهداب
 الشك طويلاً . ١٤٥

الدعى : لا تتعلق إلا بأهداب جلد العجل . أيها العليج الظريف
 اللطيف .

الملك فليب : أنا فى حيرة لا أدري ماذا أقول .
 پاندولف : أياً كان الذى تقوله ، فإنك ستقع فى حيرة أشد
 حين ترى نفسك وقد حلت بك اللعنة والحرمان .
 ١٥٠ الملك فليب : أيها الأب المبجل . نضع نفسك فى مكانى ،
 وقل لى ماذا عسأك كنت صانعاً فى مثل موقعى هذا .
 لقد عقدت الخناصر منذ قليل بين هذه اليد الملكية
 وبيى ،

واتصل الروحان بصلات قوية .
 يعزها هذا القران . الذى توثقت عراه
 بقوة الدين والأيمان المقدسة . ١٥٥
 إن آنخر ألفاظ فهنا بها هى تبادل المواثيق والعهود المقدسة ،

على الوفاء والسلام والمودة والحب الخالص
ما بين شخصينا ومملكتينا .

ومن قبل أن تعقد بيننا هذه الهدنة بقليل جداً ،
بمقدار ما يلزم من الوقت لغسل أيدينا

١٦٠

استعداداً لعقد هذا الحلف الملكي للسلام والمهادنة ،
كانت تلك الأيدي ملوثة ملطخة إلى أبعد حد ،
بدماء المذابح التي أثارها شهوة الانتقام ،
للكين أخذ منهما الغضب مأخذه .

فهل يليق بهذه الأيدي ، التي تطهرت من الدماء
منذ قليل ،

١٦٥

وتصافحت منذ هنية على الحب المتبادل بينها ،
أن تنقض هذا العهد ، وهذه المودة الخالصة ؟
هل يجوز لنا أن نعبث بالأيمان والمواثيق ، وأن نسخر
بذلك من السماء

وأن نجعل من أنفسنا أبناء عاقين للدين ،
فنيزع أحداً كفه من كف صاحبه ،
ونحنث باليمين التي أقسمناها ،

١٧٠

ونستبدل بالعرس الباسم الآمن ، حرباً شعواء ؛
ونلطح بالعار جبين الوفاء والإخلاص ؟

فيا أيها السيد الأجد ، والأب المبجل ،
جنبنا هذا المصير

١٧٥

وابتكر من فيض رحمتك
وسيلة كريمة هادئة ،

فيكون من حفظنا أن نطيع أمرك ونستبق صداقتنا .

بافندولف : إن كل شئ " عبث في عبث وكل نظام هو الفوضى
بعينها ،

ما لم يكن ينطوي على العداء لإنجلترا .

١٨٠

إذن هلم إلى السلاح ، ولتكن البطل المدافع عن
كنيستنا ،

وإلا فلتصب الكنيسة أمنا لعنتها ،

لعنة الأم على ابنها العاق .

وإنه لأسلم لك يا ملك فرنسا أن تمسك بأسان أفعى ،
أو يرائن أسد ثائر

أو بأنياب نمر جائع

١٨٥

من أن تمسك ، وتسالم

اليد التي تقبض عليها الآن .

الملك فليب : أسهل على أن أنفض اليد من أن أنقض العهد .

باندولف : إنك بهذا تواجه عهداً بعهد .

وتضع قسماً بإزاء قسم ، كما لو أنهما عبثاً لحرب أهلية
وتناقض ميثاقاً اتخذته بميثاق اتخذته من قبل .
ألا فليكن عهدك الأول ، الذى أقسمته للسماء
بأن تكون البطل المدافع عن الكنسية ،
هو الذى تؤديه وتوفى به أولاً ،
أما ما أقسمته بعد ذلك من يمين ، فإنك وجهتها ضد
نفسك ،

١٩٠

١٩٥

وما ينبغي لنفسك أن توفى بها ،
لأنك إذا أقسمت أن ترتكب الإثم ،
فإنه من الصواب أن تعدل عنه ،
لأن الخير فى تركه لا فى إتيانه ،
والرجوع عن الباطل يردك إلى الحق ،
ومن أخطأ السبيل فإن خطأ آخر يهديه سواء السبيل .
كالنار تطفى النار
بعد أن يتأجج لهيبها .

٢٠٠

٢٠٥

إن الدين هو الذى يقضى بالوفاء بالقسم ،
ولكنك أقسمت قسماً معادياً للدين ،
أى أن قسمك كان موجهاً ضد الشيء الذى تقسم به
وتجمله .

وتريد الآن أن تجعل من يمين وسيلة لتقضى يمينك الأولى

ضد اليمين. الحقبة الصادقة

ولئن جاز لك أن تقسم بأن تقضى عهداً أقسمته على الوفاء به ،

٢١٠

فأى مهزلة يصبح القسم والأيمان المغلظة ؟

إن قسمك هذا هو الحنث بعينه .

وأنت أشد ما تكون حنثاً حين تتمسك بذلك القسم ،

إذن تصبح يمينك الأخيرة

بالنسبة ليمينك الأولى بمثابة ثورة .

٢١٥

وخيانة من نفسك لنفسك .

وأعظم فوز تستطيع أن تظفر به الآن

هو أن تجعل من نزعاتك الصالحة الشريفة .

سلاحاً تقهر به تلك النزوات الجاحمة .

ولثل هذه الحطة المثلى قد توجهنا إليك برجائنا ودعواتنا ،

لعلك تستجيب إلينا .

٢٢٠

فإن لم تستجب فاعلم أن وقع لعناتنا

سيكون من الفداحة بحيث لا تجد عنها انفكاً .

بل يسحقك ثقلها حتى يوردك موارد اليأس والدمار .

- الأرشيدوق : إن ترددك هو العصيان بعينه .
- الدعى : أكل شيء عبث في عبث ؟
- ٢٢٥ أما من جلد عجل ندسه في فمك ليسكتك ؟
- لويس : أبى ، إلى القتال إلى القتال ؟
- بلانش : أفى يوم عرسك ؟
- تشن الحرب وتسفك الدم الذى تزوجته ؟
- أتكون وليمة العرس من أشلاء القتلى ؟
- وهل تصبح الأبواق الناعية والطبول الصاخبة ،
- وأصوات جهنم التى تتصاعد منها ، هى نغمات الموسيقى
- ٢٣٠ لحفلاتنا ؟
- أيها الزوج أنصت إلى !
- ويلي ما أحدث لفظ « الزوج » فى فمى !
- إنى من أجل هذا الاسم ، الذى لم أفه به من قبل .
- أركع على ركبتى وأتمس منك ألا تمضى
- لقتال خائى .

- ٢٣٥ كنستانس : وأنا آخر على ركبتى
- التي تحجرت من طول الركوع ، لكن أستحلفك
- يا ولى العهد الفاضل ، ألا ترد القضاء الذى قضت
- به السماء .

- بلاش : الآن سأشهد مبلغ حبك .
- ٢٤٠ وهل هناك دافع يدفعك أقوى من الإخلاص لزوجك ؟
- كسانر : إن الشيء الذى يهيمه أيضاً هو شرفه .
- شرفك يا لويس عليك أن تتمسك بشرفك .
- لويس : يدهشنى أن آنس فى جلالتكم هذا الفتور .
- أمام هذه المهام الجلييلة التى تجتذبكم .
- ٢٤٥ : لم يبق إلا أن أصب على رأسه اللعنة .
- الملك فليب : لن تكون بك حاجة لهذا . أى ملك لإنجلترا . إنى سأتحلى عنك .
- كسانر : لقد عادت جلالة الملك بكامل بهاأها بعد أن نذتها !
- إلناور : بل الحياة الفرنسية تنقض عهدها .
- الملك چون : لتندمن يا ملك فرنسا على هذه الساعة . قبل أن تمضى ساعة .
- ٢٥٠ اندى : أجل لا بد له من الندم . والأمر رهن بالزمن .
- الذى لا يلبث أن يحرك عقارب الساعات . ويدق النواقيس .
- بلاش : لقد توارت الشمس خلف سحب من الدماء . فوداعاً أيها اليوم الصافى الجميل .
- ليت شعرى إى أى السريقين أمضى ؟

فأنا معهما جميعاً ، وكل من الجيشين ممسك بإحدى
يدي ،

٢٥٥

فإذا تحاربا وأنا ممسكة بكليهما ،
فسرعان ما يطاح بى وأمزق كل ممزق .
أى زوجى ، لن أستطيع أن أدعو لك بالنصر ،
ويا خالى لا بد لى أن أدعو لك بالهزيمة ،
ويا والدى^(١) لن أتمنى أن يخالفك الحظ .
ويا جدتى هيهات أن أتمنى تحقيق أمانيك .
فأنا الخاسرة دائماً ، أياً كان الفريق المنتصر ،
وخسارتى مؤكدة قبل أن يبدأ النزال .

٢٦٠

لويس : إن حظك دائماً معى أيتها السيدة .
بلانش : وحيث يكون حظى يكون القضاء على حياتى .
٢٦٥ الملك جون : اذهب يا ابن العم^(٢) ، واجمع قواتنا .
(يخرج الدمى) .

أى ملك فرنسا ، لى أكاد أحترق بنيران الغضب ،
وإن غضباً تبلغ حرارته هذا المدى

(١) تقصد بذلك فليب أباً زوجها .

(٢) كثيراً ما يستخدم شكسبير لفظ ابن العم ، بدلا من ابن الأخ ، وكلمة
ابن العم Cousin كانت تطلق أحيانا على الأقارب أيا كانوا .

الخلق ألا يطفئه شئ سوى الدم ،
 ولن يكون هذا الدم سوى دم ملك فرنسا ، المحجب
 إلى نفسى .
 ٢٧٠ الملك فليب : إن حرارة هذا الغضب ستحرقك وتحيلك إلى رواد .
 قبل أن تطفى دماؤنا تلك النيران ،
 وأولى لك أن تأخذ حذرَكَ ، فإنك فى خطر داهم .
 الملك جون : ليس بأعظم من الخطر المحدق بمن يهددنى ، هلم
 ولنسارع إلى السلاح .
 (يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثاني

سهول بالقرب من آنجيه

(نفخ في الأبواق ، وحركات جنود ، يدخل الدعى حاملا رأس
أرشيدوق النمسا) .

الدعى : لعمري إن المعركة لحامية الوطيس ،

وفي السماء شياطين تحلق وتندرن بالشر المستطير

هذا رأس الأرشيدوق ، بعد أن لقي مصرعه ،

أما فليب^(١) فحي يرزق .

(يدخل الملك چون وآرثر وهوبرت)

هـ الملك چون . احتفظ بهذا الفتى يا هوبرت ، وأنت يا فليب تقدم .

لقد أغير على أمى وهى فى خيمتنا ،

وأخشى أن تكون وقعت فى الأسر .

الدعى : مولاي، إني خلصتها ،

وسموها الآن فى مأمن ، فاطمئن ولا تخف ،

(١) يعنى نفسه ، ولعل الموقف أنساه أن اسمه الأول قد تغير .

ولكن لتتقدم ، فإن قليلا من العناء ، نحتمله الآن ،
سيؤدى إلى خاتمة حميدة لجهودنا .
(يخرجون)

١٠

(نفخ فى الأبواق ، وحركات جنود ، وتراجع ، يدخل الملك جون
والهانور وآرثر والدعى وهويرث ولوردات)

الملك جون : (يخاطب الهانور) ليكون ما تريد ، ولتبقى فخامتك فى المؤخرة
تحت حراسة قوية . (يخاطب آرثر) وأنت يا ابن العم لا تحزن ،
فإن جدتك تحبك ،
وعمك لن يكون أقل عطفاً عليك من أبيك .

١٥ آرثر : إن أى سيقتلها الحزن من جراء هذا .

الملك جون : (يخاطب الدعى) يا ابن العم ، انطلق بأقصى سرعة
إلى إنجلتره ،

وعليك قبل عودتنا إليها أن تهز حقائب رؤساء الأديرة .
وتستخرج منها بعض ما كنزوه ،
وتطلق سراح تلك الملائكة^(١) الحبيسة .

إن الجيش الجائع لابد له أن يطعم مما جمع فى وقت
السلم ،

٢٠

ولك أن تستخدم تفويضنا إلى أقصى حد .

(١) نوع من العملة يحمل صورة ملك من الملائكة .

الدعى : إن عقوبة الحرمان في مختلف صورها ، لن تردني إلى
الوراء ،

عندما يدعوني الذهب والفضة للتقدم إلى الأمام .
وهأنذا أغادر جلالتك . وأنت يا جدتي ،
سأصلى لأجل سلامتك ، إذا تذكرت يوماً ما أن
أؤدي الفريضة .

اسمحي لي أن أقبل يدك مودعاً .

إليانور : وداعاً يا ابن العم .

وداعاً .

الملك جون :

(يخرج الدعى)

إليانور : تعال يا قريبي الصغير ، لدى كلمة أقولها لك

(تنتحي ناحية بآثر)

الملك جون : وأنت يا هوبرت ، تعال هنا أيها العزيز .

إننا مدينون لك بالشيء الكثير ،

إن في جدران هذا الجسد روحاً تعذك دائها ،

وفي عزمها أن ترد الحميل مضاعفاً ،

ويعين الولاء التي أقسمتها أيها الصديق ، بمحض

اختيارك ،

ستظل مكنونة في قلبي ، أعزها وأعتر بها .

ناولني يدك ، لقد كنت أريد أن أقول شيئاً حسناً ،
ولكنني سأنتظر حتى أشفعه بعمل أحسن ،
فوحق السماء يا هوبرت ، إنني ليكاد يعتريني
الحجل

٣٥

حين أتحدث عن تقديري لك .

هوبرت : إنني أدين لجلالتكم بالشيء الكثير .

٤٠ الملك جون : لم يحدث بعد شيء يبرر ما تقول أيها الصديق الكريم
ولكن هذا الشيء لن يلبث أن يحدث .

ومهما كان سير الزمان بطيئاً ، فلأن الفرصة ستتاح
لي قريباً لمكافأتك .

كنت أريد أن أقول شيئاً ، ولكن دعنا منه الآن .

لقد خلقت الشمس في السماء بروعتها وجلالها ،

واليوم صحو مشرق ،

٤٥

يُزهي بما امتلأ به العالم حوله من المباهج والمحاسن ،

وهيئات أن يصغى الآن إلى كلامي .

لكن إذا دق ناقوس نصف الليل بلسانه الحديدي

وفوهته النحاسية ،

وأرسل رنينه في جنح ليل يغشاه النعاس ،

وكانت وقفتي وإياك وسط المقابر ،

٥٠

وقد ارتكبت من آلاف الذنوب
أو كان الهم والحذر قد استوليا عليك ،
فحرقا دمك وجعلاه غليظاً ثقيلاً ،
بدل أن يكون كعادته خفيفاً يجرى في الأوعية ،
ويثير الضحك والفكاهة العابثة
في عيون الناس وخذودهم ،
وذلك أمر كرهه لا يتفق مع الأغراض التي أنشدها^(١) .
أو إذا كان بوسعك أن تراني بغير عينيك ،
وتسمعني بغير أذنيك ،
وتجيبني من غير لسان ، مستعيناً على ذلك بفهمك
وحده ،
دون حاجة إلى عيني أو أذني ، أو إلى صوت الألفاظ
الضار ،
إذن أستطيع أن أدلى إليك بأفكاري ،
على الرغم من هذا النهار اليقظ ، ومن ضوئه الساطع ،

(١) يشير شكسبير إلى القول المعروف في زمنه بأن الغضب يجعل الدم ثقيلاً ، والمرح يجعله خفيفاً . وخلاصة هذه العبارة الطويلة أن الأمر الذي يريد أن يتحدث به الملك چون لا يناسبه الهواء المشرق والمناظر البهيجة ، بل جو المقابر والغضب و « الصمت » فهو يريد تحريض هوبرت على قتل آرثر تلميحاً صريحاً .

ومع ذلك فإنى لا أريد أن أفعل ، على شدة حبي لك ،
وبقيني أنك أنت أيضاً تبادلنى الحب .

٦٥

هوبرت : إن حبي لك من القوة
بحيث أبادر - وحق السماء - بتنفيذ ما تكلفنى به
ولو كان فيه هلاكى .

الملك جون : وهل أجهل هذا عنك ؟
أى هوبرت الطيب ، هوبرت ، هوبرت ، ألقى نظرة
من عينيك

٧٠
على ذلك الصبي ، ودعنى أخبرك خبره ،
إنه أفعى تعترض طريقى ،
وحيثما خطوط خطوة بقدى أراه كامناً أمامى ،
أفهمت ما أعنى ؟
إنك المكلف بحراسته .

هوبوت : أجل وسأحرسه

٧٥
بحيث لا يلحق جلالتك منه أدنى الأذى .

الملك جون : إذن الموت .

هوبرت : مولائى .

الملك جون : القبر .

هوبرت : إنه لن يعيش .

الملك چود : حسبي ، الآن ينشرح صدري ، أى هوبرت ، إن
حبي لك لشديد .

ولكنى لن أبوح الآن بما أريد هلك . فاذكر وعدك .
سيدتى ، وداعاً ،

سأبعث إلى جلالتك بأولئك الجنود لحمايتك .

إليانور : لك دعواتى وبركتى .

الملك چون : وأنت يا ابن العم ، هلم إلى إنجلتره ،

وستكون فى رعاية هوبرت ،

يرعاك بكل إخلاص . هيا إلى كاليه !

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

سرادق ملك فرنسا

(يدخل الملك فليب ولويس وپاندولف والحاشية)

الملك فليب : إذن لقد هبت عاصفة هوجاء

على أسطول من السفن الحربية

ففرقته ، ومزقته كل ممزق .

پاندولف : لنلزم الشجاعة والهدوء ، وسيجری كل شيء على

ما يرام .

الملك فليب : ما الذى عساه أن یجری على ما يرام بعد كل ما جرى

من الشر ؟

ألم نهزم ؟ ألم نفقد آنجيه ؟

ألم يقع آرثر فى الأسر ؟ ألم يلق كثيرون من الأصدقاء

الأعزاء مصرعهم ؟

ألم يرحل ملك إنجلترة السفاح إلى إنجلترة ،

بعد أن نال من فرنسا ، وأنزل بها الأذى ؟

لويس : لقد استطاع أن یحصن ما استولى عليه :

وأمكنه أن يجمع بين السرعة وحسن التدبير ،
وبين النظام الهادئ والقتال الوحشي .
يا له من مثال يحتذى !
من ذا الذي قرأ أو سمع بشيء كهذا ؟

١٥ الملك فليب : لا بأس عندي أن ينال ملك إنجلترا هذا الإطراء ،
إذا استطعنا أن نجد أماناً مثلاً دوننا ممن جللهم العار
الذي سربلنا .

(تدخل كنستانس)

انظروا إلى هذه المقبلة علينا ! إنها حدث مطبق على
روح ،

وقد احتبست فيه الروح على كره منها .
إن جسدها لسجن وضيع للنفس المعذبة .
أرجوك يا سيدتي أن تصحبينا إلى حيث نمضي .

٢٠

كنستانس : انظر الآن ! ما جره علينا سلمك ومهادنتك !
الملك فليب : صبراً ، أيتها السيدة الكريمة ، تجلدي يا كنستانس
العزيرة .

كنستانس : كلا ! لعمرى لن أقبل نصيحاً ، ولن أقبل عزاء ،
اللهم إلا إذا كان فيه القضاء على كل نصيح
وكان هو العزاء الحق ، الموت ، الموت ،

٢٥

ألا أيها الموت المحبب الجميل !
 أيها النتن الزكي الرائحة ! أيها العفن الطاهر .
 انهض من وسط الظلام الأبدى الذى ترقد فيه ،
 أيها الرهيب . البغيض إلى السعداء !
 انهض حتى ألثم عظامك الكريهة (١) .
 وأضع عيني في حفرتي جبهتك الغائرتين .
 وأتختم على هذه الأصابع بدود منزلك .
 وأكتم أنفاسي بترابك المقرف ،
 حتى أصير جيفة بشعة مثلك .

٣٠

تعال إلى ، فاغراً فاك ، وسأحسبك تبتسم ،
 فأقبلك بشراة كأني زوجتك . أجل يا معشوق البؤس
 والشقاء ،

٣٥

تعال إلى .

الملك فليب : أيتها البائسة الجميلة ، اهدئي !

كنستانس : كلا لن أهدأ ما دام فيّ نفس يجهش بالبكاء !

ليت لساني كان في فم الرعد ،
 حتى أزلزل أرجاء الأرض بغيظي وحزني .

(١) تتخيل الموت في صورة هيكل عظمي بشع .

٤٠

فأوقف من رقاده ، هيكल الموت القاسى ،
الذى لا يستطيع أن يسمع صوت المرأة الضعيف ،
ويحتقر كل نداء من طراز مألوف .

هاندولف : ليس ما تنطقين به يا سيدتى حزناً بل جنوناً .

كنستانس : ما ينبغي لقداستك أن تلصق بى هذا التهمة الكاذبة ،
فإنى لست بالمجنونة ، وهذا الشعر الذى أمزقه هو
شعرى .

٤٥

واسمى كنستانس ، وكنت زوجة جفرى ،
والشاب آرثر نجلى ، وقد فقدته .
كلا ليس بى جنة ، وباليمنى كنت مجنونة .
لعلى عندئذ أن أنسى نفسى :

آه لو استطعت ذلك ، فأى حزن هائل أنساه !
أيها الكردينال ، ما أجدرك أن تدلى بموعظة فلسفية
تجعلنى بها مجنونة حقاً ، فتصبح من القديسين .
ذلك أنى ما دمت غير مجنونة ، وأحس هذا الحزن
المبرح .

٥٠

فإنى عقلى سيبتكر الوسائل
التي تتيح لى الخلاص من هذه الولايات .
ويعلمنى كيف أقتل أو أشتق نفسى .

٥٥

أما إذا اعتراني الجنون فلإني سأنسى ولدى ،
أو يدفعني الجنون لأن أحسب الدمية المصنوعة من الخرق
البالية ، هي ولدى .

كلا لست مجنونة ، وأحس إحساساً شديداً
بجميع ما يصيبني من كل كارثة نزلت بي .

٦٠

الملك فليب : اربطى غداً شرعك ،

لإني لأرى في كتل شعرها الغزير آيات الحب ،
فإذا تلونت شعرة ، مصادفة ، بلون الفضة ،
تجمعت حولها آلاف الشعيرات الصديقة ،
فتلتف بها في حزن وإخلاص ،

٦٥

كما يجتمع الأحبة المخلصون
الأوفياء وقت الشدائد .

كنستانس : إلى إنجلتره إذا شئت^(١) .

الملك فليب : اربطى غداً شرعك .

كنستانس : أجل سأفعل ، ولكن لماذا أفعل ؟

لقد قمت بانتزاعها من أربطتها ، وأنا أصبح بصوت
عال

٧٠

(١) رد متأخر على دعوة الملك فليب إليها في بدء الحديث أن تصحبه إلى حيث يمضي .

« ليت هاتين اليدين تقومان بتخليص ولدى .

كما أطلقنا هذه الشعرات من عقالها ! »

إنى لأحسدها على حريتها .

ومع ذلك فإنى سأعود فأقيدها فى رباطها ،

لأن طفلى المسكين سجين ،

وقد سمعتك يا والدى الكردينال تقول

إننا سنرى ونعرف أصدقاءنا فى السماء ،

فإن صبح هذا القول ، فإنى سأرى ولدى مرة أخرى ،

ولكن هيهات أن يتاح لى ذلك ! فإن الذين ولدوا على

مر الزمان ، منذ ولادة قابيل ، الطفل الذكر الأول ،

إلى من عساه قد ولد بالأمس من الأطفال ،

ليس بينهم مولود ، له كل تلك الصبابة والملاحة التى

لولدى .

والآن سيغتال الحزن زهرتى اليانعة ،

ويطرد الجمال الباهر من خديه ،

فيبدو فى مثل كآبة الأشباح ،

وقد نال منه الهزال والشحوب كمن انتابته الحمى .

وسيقضى وهو فى هذه الصورة ، ثم يبعث كذلك .

فإذا لقيته فى رحاب السموات ،

فلن أستطيع معرفته .

إذن قضى على ألا أرى آرثر ، ولدى الجميل ، مرة أخرى .

- ٩٠ پاندولف : إنك لتسرفين في الاستسلام للحزن البشع .
 كنستانس : هكذا ، يكلمني من لم يرزق بولد يوماً من الأيام .
 الملك غليب : إن حبك للحزن لا يقل عن حبك لابنك .
 كنستانس : إن الحزن يشغل المكان الذي خلّاه ولدى ،
 فهو يرقد في سريره ، ويصحبني في جيّتي وذهابي ،
 ويتزني ملاحه الجميلة ، ويردد ألفاظه ،
 ويدكرني بجميع حركاته الرشيقّة ،
 ويرتدى حلّه ، ويملاً فراغها بشكله ،
 أما يحق لي من أجل هذا أن أحب الحزن ؟
 أودعكم الآن ! لو أن رزماً مثل رزني قد حل بكم
 لواسيتكم بأحسن مما واسيتموني .
 ١٠٠
 لن أحافظ على تصفيف شعري ،
 بعد أن اضطرب عقلي وشعوري .
 رباه ! ولدى ، بني آرثر ، فتأى الجميل ،
 حياتي ، سروري ، غذائي ، كل ما في هذا الوجود ،
 سلوى حياة ترملي ، وشفاء أحرزاني
 ١٠٥

(تخرج)

الملك فليب : سأتابعها فلنأى أخشى أن تنال نفسها بسوء !

(يخرج)

لويس : لم يبق فى العالم شىء يجلب السرور إلى نفسى .

أصبحت الحياة مملة كالحديث المعاد

على السمع الفاتر لرجل غلبه النعاس .

إن هذا العار ، بمذاقة المر ، قد أفسد حلاوة كل شىء

فى الحياة ،

فلم تعد تثمر سوى الحزى والعلقم .

١١٠

پاندولف : قبيل الإبلال من كل داء وبيل ،

بل فى اللحظة التى تستعاد فيها الصحة ويتم الشفاء ،

يكون المرض فى أقصى شدته ،

فلن الآلام حين تودعنا تكون وطأتها على أشدها ساعة

رحيلها .

١١٥

ماذا عساك فقدته بسبب هزيمة اليوم ؟

لويس : كل أيام الحجد والفرح والسعادة .

پاندولف : لو أنك قد كسبتها لكنت فقدتها بحق .

إن الحظ ، حين يضمم أعظم الخير للناس ،

يحدق فيهم بعين ملؤها التهديد والوعيد .

١٢٠

- ومن أعجب الأمور أن تفكر فيما خسره الملك چون ،
 في هذا الأمر الذى يحسبه نصراً باهراً :
 ألم يحزنك أن آرثر بات أسيراً فى يده ؟
 لويس : يحزننى بقدر ما يسعده أنه ظفر به .
 ١٢٥ باندولف : إن عقلك ما برح فى حادثة شبابك .
 فاستمع إلى حتى أحاطبك بروح المتكهن بالمستقبل .
 إن كل لفظ أتفوه به الآن
 هو بمثابة نسمة ترفع كل غبار أو هشيم أو عقبة
 فى الطريق الذى سيقود خطاك
 مباشرة إلى عرش إنجلترة . ١٣٠
 انتبه إذن لما أقول : لئن كان چون قد قبض على آرثر ،
 فمحال أن يقر لحون الضال قرار ، أو يهدأ باله ساعة
 أو دقيقة أو لحظة ،
 ما دام يجرى الدم الحار فى عروق هذا الطفل .
 إن الصوبلجان الذى اغتصبته يد غاشمة ،
 لا يحافظ عليه إلا بمثل العنف الذى اغتصب به ، ١٣٥
 والرجل الواقف على منحدر زلق
 لا يهيمه أى الوسائل غير الشريفة يتخذ ليأمن السقوط ،
 إذن لا بد من سقوط آرثر ،

حتى يظل چون واقفاً على قدميه .

فليكن هذا لأن شيئاً غيره لا يمكن أن يكون .

١٤٠

لويس : ولكن ماذا عسائى أكسب من سقوط الشاب آرثر ؟

پاندولف : عندئذ تطالب ، بما لك من الحق المترتب على زواجك من بلانش ،

بجميع ما كان يطالب به آرثر .

لويس : وأخسر الحياة وكل شيء كما خسرها آرثر .

١٤٥ پاندولف : يا لك من فج غُمر ، حديث العهد بهذا العالم القديم !

إن چون يرسم الخطط التى تفيد أنت منها . والزمن يعمل لصالحك !

فإن من يشترى سلامته بسفك الدم البرىء ،

لن يظفر إلا بسلامة يغمرها الدم والإجرام ،

فإن ارتكابه هذا الجرم

كفيل أن يحول عنه قلوب قومه جميعاً ، ويطفىء جذوة

حماستهم ،

١٥٠

بحيث لو ظهر فى الأفق شيء ، مهما كان صغيراً ،

فيه تعرض بحكمه ،

لأبدوا سرورهم به ،

حتى النيازك فى السماء ، وتقلبات الطبيعة .

والأيام العابسة ، والرياح الجارية والأحداث المألوفة ،

١٥٥

سيحوطها الناس عن مدلولها المألوف ،

ويزعمون أنها شهب ساقطة ،

ونذر وعلامات ، وويلات توحى بها الطبيعة ،

وإرهاصات . وألسنة من السماء

تهدد چون بالويل والعذاب ،

لعله لا يريد أن يمس الفتى آرثر بسوء ،

١٦٠ لويس

ويجد السلامة التي ينشدها بإبقائه سجيناً .

: إذا سمع باقترابك أيها السيد ،

ياندولف

والفتى آرثر لم يقض عليه بعد ،

فإنه سيلقى حتفه بمجرد وصول النبأ ،

وهناك تنفر منه قلوب شعبه جميعاً .

١٦٥

وسينفضون للترحيب بالعهد الجديد الذي يشناقونه ،

ويجدون في الجرائم التي ارتكبها چون

ما يبرر سخطهم وثورتهم عليه .

لكأنى أرى هذا الصخب قائماً على قدم وساق ،

فهل هناك توفيق أجل وأعظم مما ذكرته لك . . .

١٧٠

إن الدعى فولكنبرديج الآن في إنجلترا ،

يغير على مال الكنيسة ،

ويعطل أعمال الإحسان .

فلو أن هناك بضعة عشر فرنسيًا بكامل سلاحهم ،
لاستطاعوا أن يستميلوا عشرة آلاف من الإنجليز
إلى صفهم .

١٧٥

كانهم كرة من الثلج تتدحرج ،

فلا تلبث أن تصير جبلا بما يلتف حولها من الثلوج .
فهلهم أيها الأمير الشريف يا ولى العهد ، نذهب معاً
إلى الملك .

إن الناس بلديرون أن يأتوا من الأعمال ما يبعث
الدهشة ،

إذا ثارت حفائظهم ، وامتلأت نفوسهم سخطاً
واشمزازاً ،

١٨٠

فلنذهب إلى إنجلترا ، وسأسعى لأشجدهم الملك .

لويس : إن الأسباب القوية ، تدفع إلى أعمال قوية ، فلنذهب
إذن .

وسيستجيب الملك إلى قولك ، ولا يخالف رأيك .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

غرفة في بعض القلاع ، والفحم يحترق في الموقد
(يدخل هوبرت وبعض الجلادين)

هوبرت : احموا لى هذه القضبان من الحديد حتى تشتد حرارتها .
واكنوا وراء الستار ،

حتى إذا ضربت بقدمى على البلاط ،
فأسرعوا واربطوا الغلام الذى تجلدونه معى ،
إلى هذا الكرسي ربطاً محكماً ، انتبهوا اخرجوا وترقبوا .
الجلاد الأول : أرجو أن يكون الأمر الذى بيدك مما يجيز لك هذا
العمل .

هوبرت : مخاوفك لا معنى لها ، فلا تخش شيئاً ، وانتبهوا .
(يتراجع الجلادون)

تقدم أيها الفتى ، فإن لدى ما أقوله لك .
(يدخل آرثر)

آرثر : عم صباحاً يا هوبرت .

هوبرت : عم صباحاً ، أيها الأمير الصغير .

آرثر : لأننى حقاً صغير بين الأمراء ، إذا ما قارنت بين المجد

العظيم الذى أستحقه ،

وبين ما أنا عليه الآن — إنك تبدو حزينا .

: أجل ، لقد كنت من قبل أكثر سرورا .

هوبرت

رحمك اللهم !

:

آثر

إني لا أجد أحداً جديراً بالحزن غيرى .

ومع ذلك فلإني أذكر عندما كنا فى فرنسا

كيف كان شباب الأسر الكريمة يظهرن حزناً كالليل

البهم ،

لمجرد التكلف والعبث .

أما أنا فوحد نصرائقى ، لو أنى غادرت السجن ،

واشتغلت برعى الضأن ،

لكنت أكثر الناس سعادة وسروراً .

بل إني قد أحس السعادة هنا لولا خوئى

أن عمى يدبر لى أذى أشد وأعظم ،

إنه يحشأنى وأحشاه .

فهل اقترفت ذنباً بأن كنت ابناً لجفرى ؟

كلا لعمرى ليس هذا ذنبى . وددت — علم الله —

لو أنى كنت ابنك أنت يا هوبرت ، حتى يكون لى

نصيب من عطفك وجبك .

هوبرت : (لنفسه) لو أنى أمعنت فى الحديث معه ، وأصغيت
للفظه الطاهر البرىء

٢٥

لبعث الرحمة فى قلبى بعد موتها .
إذن لا بد لى أن ألبأ إلى الإسراع والمفاجأة .
: أمرىض أنت يا هوبرت ، إن وجهك اليوم يعلوه
الشحوب .

آثر

ولعمرى إنى أود أن تكون بك علة خفيفة ،
حتى أسهر الليل كله لرعايتك .
إنى لعلى ثقة أن حبى لك أعظم من حبك لى .
: (لنفسه) إن كلماته تملك على وجدانى ومشاعرى .
أقرأ هذا يا آرثر (يريه ورقة)

٣٠

هوبرت

(لنفسه) ويحك أيها الدمع الأحمق ،
إنك توشك أن تطرد عذاب الجحيم إلى وراء الباب .
لا بد لى أن أسرع حتى لا تتساقط العزيمة من عينى
فى صورة عبرات كدموع النساء .
ألا تستطيع أن تقرأها ؟ أليس خطها حسناً ؟
: إن خطها يا هوبرت لأجمل من فحواها الدميم .

٣٥

آثر

أحق أن من واجبك أن تسمل عينى بحديد محمى فى
النار ؟

- هوبرت : أجل إنه من واجبي أيها الغلام .
 آرثر : وهل تفعل ذلك ؟
 ٤٠ هوبرت : أجل سأفعله .
 آرثر : وهل يطاوعك قلبك ؟ وأنا الذى كنت إذا اعتراك
 صدامع يسير ،
 بادرت فربطت جيبيك بأفضل منديل لدى .
 منديل حاكته يد أميرة .
 ولم أطالك به بعد ذلك .
 ٤٥ وكنت أسند رأسك بيدي في منتصف الليل .
 وتمر الدقائق كأنها ترقب الساعات
 وأنا لا أكف عن تسليتك وملاطفتك .
 ولا أزال أسألك : « هل بك حاجة إلى شيء ؟ »
 و « ما الذى يؤلك ؟ »
 و « أى عمل طيب أستطيع عمله من أجلك ؟ »
 ٥٠ وإن من أبناء الفقراء من لو كان محلى للزم السكون
 ولما قال لك كلمة عطف .
 أما أنت فقد كان يسهر لتريضك أمير ،
 أتراك حسبت أن حبي لك كان منطوياً على الخديعة .
 أو ظننته ضرباً من المكر ؟ فليكن هذا ظنك إن شئت .

وإذا كانت المقادير قد شاءت لك أن تسيء إلى اليوم
فلا بد مما ليس منه بد .

• •

أتريد إذن أن تطفى سراج عيني ؟
هاتين العينين ، اللتين لم تنظرا إليك يوماً بعبوس
أو تقطيب ،
ولن تفعلنا ذلك أبداً .

هوبرت : لقد أقسمت لأفعلن ذلك ،

ولا بد لي أن أحرقهما بالحديد المضطرم .
آذر . وبلى . إن هذا الأمر لا يحدث إلا في مثل هذا العصر
الحديدي^(١) .

إن الحديد نفسه لو دنا من هاتين العينين
وهو ملتهب من شدة الحرارة . لشرب من دمعي
وانطفأت جذوة ناره

بتأثير هذه العبرات البريئة الطاهرة .

بل إنه ليصهر أو يأكله الصدا ،

٦٥

بعد أن كانت نيرانه المحرقة تبغى الإضرار بعيني .
فهل أنت أشد قسوة من الحديد .

(١) إشارة إلى أن الأزمينة العابرة هي العصور الذهبية ، وقد نحطت مراتب الأرضه
فأصبحنا في العصر الحديدي .

ولو أنى جاءنى ملك من السماء
وأبلغنى أن هوبرت يريد أن يحرق عينى ما صدقته ،
كلا لن أصدق
إلا هوبرت نفسه .

٧٠

تقدموا (يضرب الأرض برجليه)

هوبرت

(يتقدم الجلادون ومعهم حبال وسلاسل ونحو ذلك)

افعلوا ما أمركم به .

رحمك يا هوبرت . أنقذنى !

آثر

لقد فقت عيناى لمجرد النظر إلى وجوه هؤلاء القوم
الوحشية .

: ناولونى الحديد ، وأوثقوا ربطه هنا .

هوبرت

: ولكن ما الذى يدعوك إلى كل هذه الحشونة والغلظة ؟

٧٥ آثر

إنى لن أقاوم . وسأقف جامداً كالحجر .

فبالله عليك يا هوبرت ، لا تأمرهم أن يشدوا وثاقى .

وأستحلفك يا هوبرت أن تطرد هؤلاء الرجال ،

وسأجلس هادئاً كالحمل ،

إن أتحرك أو أهرب أو أنبس بكلمة .

٨٠

ولن أنظر بغضب إلى الحديد الملتهب .

اطرد هؤلاء الرجال من هنا .

- أصفح عن كل ما تلحقه بي من عذاب .
 هوبرت : عودوا أدراجكم ، ودعوني وحدي معه .
- ٨٥ الجلاد الأول . أحبب إلى نفسي بأن أكون بعيداً عن مثل هذا العمل !
 (يخرج الجلادون)
 آرثر : وا أسفاه ، لقد أهنت صديقاً .
 إن له وجهاً عبوساً : وقللاً رقيقاً .
 ادعه ليرجع لعل رحمته
 تبعث الحياة في رحمتك .
- هوبرت : هلم أيها الفتى وتأهب .
 آرثر : أليس ثمة مفر ؟
- ٩٠ هوبرت : كلا لا مفر إلا فقد عينيك .
 آرثر : رباه ، لو أن ذرة سقطت في عينيك
 أو حبة أو بعوضة أو غباراً أو شعرة تأهية ،
 أو أى شيء يضايق هذه الحاسة الثمينة ،
 إذن لشعرت كيف تألم العين من أتفه الأشياء
 وأدركت بشاعة هذا العمل الفظيع .
- ٩٥ هوبرت : أين ما وعدتني به التزام الصمت ؟
 آرثر : أى هوبرت إن ما ينطق به لسانان من الألفاظ
 قد لا يكفي للشفاعة بعينين ،

لهذا أرجوك ألا تسكت لسانى عن الكلام . أرجوك
يا هوبرت !

١٠٠

أو — إذا شئت يا هوبرت — فاقطع لسانى
حتى أحتفظ بعينى . أبق على عينى
ولو لم تكن لهما فائدة سوى النظر إليك !
انظر ، لعمري إن الحديد قد برد
فلن يلحقنى الآن منه ضرر .

هوبرت

١٠٥ آرثر : كلا وأيم الحق ، إن النار التى خلقت للدفع وللإنعاش
قد خمدت غمماً

حينما أريد لها أن تؤدى عملاً قاسياً مفظعاً .
حسبك أن تنظر بنفسك إلى هذا الفحم
لترى أنه ليس به حقد أو أذى ،
وقد هبت عليه نسمة من السماء فأطفأت لهيبه وكست
جمره بغطاء من الرماد .

١١٠

هوبرت

: ولكنى أستطيع أن أنفخ فيه فيشتعل .
: لو أنك فعلت هذا ، لما زدت على أن تجعله
يحمر ويلتهب خجلاً مما تريد أن تقوم به يا هوبرت .
بل لقد يتطاير شراره فى عينيك ،

آرثر

ويكون مثله كمثل الكلب الذى يكره على القتال ،
 ١١٥ فينقض على صاحبه الذى يدفعه على الرغم منه .
 إن كل شئ تريد أن تؤذيني به
 لا يلبث أن يفقد صلاحيته لما تريد .
 إنك أنت وحدك الذى خلوت من تلك الرحمة التى
 يظهرها الحديد الصلب والنار المشتعلة ،
 مع أنهما مما يستخدم فى شئون بعيدة عن الرحمة
 والشفقة . ١٢٠

هوبرت : فلتحى إذن ، محتفظاً ببصرك .
 فإني لن أمس عينيك ولو بذل لى كل ما فى خزائن
 عمك من الكنوز ،
 مع أنى أقسمت ، وتوطد منى العزم أيها الغلام
 على أن أحرقهما بهذا الحديد .
 ١٢٥ أنت الآن هوبرت حقاً ،
 ومن قبل كنت متنكراً .
 هوبرت : صه ولا تزد ! أستودعك الله .
 يجب ألا يعرف عمك شيئاً سوى أنك فى عداد الموتى .
 وسأملأ آذان أولئك الجواسيس القساة
 بأنباء كاذبة .

والآن أيها الصبي الجميل ، نم في هدوء وطمأنينة ،
 فإن هوبرت لن ينالك بسوء
 ولو أعطى ما في العالم كله من ثروة ومال .

آثر : رباه . شكراً لك يا هوبرت .
 هوبرت : الزم الصمت ، ولا تزد . ولندخل معاً في سكون ،
 إني لأتعرض من أجلك لأشد الأخطار .
 (يجرحان)

الفصل الرابع
المنظر الثاني
بلاط لإنجلترا

(يدخل الملك جون والوردان ممبروك وسالسبوري وغيرهما)

الملك جون : هنا نجلس مرة أخرى ، بعد أن توجنا مرة أخرى ،
والذى أرجوه أن ينظر إلينا نظرة الابتهاج .
ممبروك : لولا رغبة سموكم ، لكانت هذه المرة الأخرى من
النوافل ،

فقد سبق لكم أن توجتم ملكاً ،
وهذه الملكية السامية لم تشبها بعد ذلك شائبة ،
فإخلاص الرعية لم يدنسها العصيان ،
ولم تضطرب البلاد بسبب خطب جديد تتوقعه ،
أو تبدل تنشده ، أو تحسين تصبو إليه .
سالسبوري : لهذا كان الاحتفال بالمعاد ،

والغلو في تجميل لقب لا تنقصه الروعة ،
كمن يطلّي الذهب المصنّى بالذهب أو بلون زهرة الزنبق ،
أو ينثر الطيب على البنفسج ،
أو يجعل الثلج أكثر نعومة ،

أو يضاف لون آخر إلى قوس قزح .
أو كمن يريد ، بضوء شمعة ، أن يزيد الشمس نوراً
وبهجة .

١٥

وهذا كله إسراف وسفه لا مبرر له . وسخف يثير
السخرية .

مبروك

: إن هذا العمل بمثابة قصة قديمة يعاد سردها ،
لولا ما في ذلك العمل من تحقيق لرغبتكم الملكية ،
وإن تكرارها هذه المرة الأخيرة ليعث على القلق ،
إذا حدثت في وقت غير ملائم .

٢٠

: وفي هذه الحفلة الأخيرة خولفت المراسم القديمة المرعية ،
وشوّهت صورها المعهودة تشويهاً كبيراً .

سالمسوري

فتبليت الأفكار بسبب ذلك ، كأنها شرع سفينيّة
هبت عليه ريع باتجاه جديد ،

فأذهلت العقول وحيرت الألباب ،

٢٥

وأفسدت التفكير السليم وأثارت الشبهة حول الحقائق ،
ناهيك بارتدائك حلة مستحدثة .

: إذا حاول الصنّاع أن يعملوا أحسن مما كانوا يجيدونه ،

مبروك

انتهى أمرهم إلى الاضطراب ،

وانحطت مهارتهم بسبب أطماعهم ،

٣٠

ولقد يدلى بعذر عن خطأ يرتكب ،
ولكن كثيراً ما صار الخطأ أقبح بسبب ذلك العذر ،
كما يرقع الحرق الصغير في الثوب ،
فيبدو منظره أشد دمامة
مما كان قبل أن يرقع .

٣٥ سالبورى : لقد أدلينا برأينا على هذه الصورة قبل هذا التتويج
الجلديد .

فبدا لسموكم أن تعملوا بخلاف ذلك الرأى .
ونحن على كل حال سعداء بما تم ،
لأن رغباتنا كلها ، مجتمعة ومقترنة ،
لا بد لها في النهاية أن تتفق ورعاتكم .
٤٠ الملك جود : سبق لى أن أحطتكم علماً ببعض الأسباب التى دعت
لهذا التويج المزدوج ،

وأراها أسباباً قوية ،
وسأبلغكم أسباباً أخرى تبلغ من القوة أكثر مما تبلغه
مخاوفى من الضعف ،

وإلى أن يأتى ذلك الوقت ، أسألونى
أى إصلاح تنشُدونه لما لا يروقكم ،
وسترون كيف أرحب بالاستماع لمطالبكم

والاستجابة لها .

مبروك : ائذن لي إذن بوصفي اللسان الذي ينطق باسم هؤلاء .

أن أتكلم بما في نفوسهم جميعاً .

فمن أجلهم ومن أجل نفسي .

وفوق ذلك كله من أجل سلامتكم .

التي نكبرس لها كل جهودنا .

أن أطالبكم من كل قلبي بإطلاق سراح آرثر .

فإن حبسه قد جعل الألسنة الضجرة تتحرك

وتدلى بالعبارات والحجج الخطيرة الآتية :

إذا كان ما استوليت عليه اليوم قد ملكته بقوة الحق ،

فلم جعلت مخاوفك ، التي هي في زعمهم وليدة

الباطل .

تدفعك إلى حبس شاب من ذوى قرباك ،

فتحرمه نعمة التعليم ،

وتأبى على شبابه الغض أن يترعرع

ويتمتع بالرياضة الصالحة ؟

ولكيلا يجد أعداء هذا العهد في هذا الأمر حجة

يثيرونها متى شاءوا ،

نلتمس منكم أن تجعلوا طلبنا لإطلاق سراحه

هو الأمنية التي سألتمونا أن نتقدم إليكم بها اليوم .
 وليس لنا مطلب آخر نلتمس به خيراً لأنفسنا ،
 اللهم إلا أن سعادتنا مرهونة بسعادتكم ،
 التي يحققها إطلاقكم سراح هذا الفتى .

٦٥

(يدخل هوبرت)

الملك چون : ليكن ما تريدون ، وسأضع شبابه الغض تحت تصرفكم .
 أى هوبرت ماذا لديك من الأنباء ؟

(يتحى به ناحية)

ممبروك : هذا هو الرجل المكلف بارتكاب الأمر المقتطع .

٧٠

وقد أطلع واحداً من أصدقائي على الأمر الصادر إليه .

إن في عينه صورة حية لجرم كبير قد اجترحه ،

والوجوم الذي يعلوه

يدل على حالة اضطراب تملأ جوانحه ،

وأكبر ظني وأخوف ما أخافه أن قد حدث ذلك

الحادث الرهيب

٧٥

الذي كنا نخشى وقوعه .

السبوري : أرى الملك يتعاقب على وجهه الشحوب والاحمرار ،

تندافعه رغبته وضميره .

كما تسعى الرسل بين جيشين تأهباً للقتال ،

- إن انفعاله بلغ الغاية ولا بد له أن ينفجر .
- ٨٠ مبروك : ومتى انفجر فلنأى أخشى أن ينكشف الانفجار
عن عمل دنى يفضى إلى موت طفل عزيز .
- الملك چون : ليس فى وسعنا — أيها السادة الكرام — أن نقف يد
المنون القاهرة .
- وإنى وإن كنت لا أزال مستمسكاً بما أحببتكم إليه .
فإن الطلب الذى التسموه منا لم يعد تحقيقه ممكناً ،
فقد أبلغنا الآن أن آثر قضى نحبه الليلة .
- ٨٥ سالسبورى : لقد كنا فى واقع الأمر نخشى أن مرضه لم يعد يفيد
فيه العلاج .
- مبروك : أجل لقد سمعنا نحن أن موته قد اقترب ،
من قبل أن يحس الطفل نفسه بالمرض .
وذلك لثم لا بد أن يكفر عنه فى هذا البلد أو فى غيره .
- ٩٠ الملك چون : ما بالكم تقطبون الجبين وتنظرون إلى عابسين ؟
هل تظنون أن فى يدى سيف القضاء والقدر ؟
أو أن لى الأمر والنهى فى شئون الحياة والموت ؟
- سالسبورى : ومن الواضح أن فى الأمر إنمأ فظيماً ،
ومن العار ألا تتورع المناصب السامية عن ارتكاب
مثله ،

فلتصب من النجاح/ ما هو خليك بتديرك هذا ،
الوداع (١)

يمبروك : تمهل يا لورد. سالسيوري ، حتى أسير معك ،
لكي نبحث عن الإرث ، الذي آل إلى هذا الطفل ،
وقد صارت مملكته الصغيرة قبراً نزله نتيجة لهذا العمل
الوحشي ،
إن صاحب هذا الدم الذي كان يمتلك هذه الجزيرة
العريضة كلها ،

يحتويه الآن منها ثلاث أقدام ، لبئس العالم عالمنا هذا .
ليس هذا الأمر مما يمكن احتماله ، بل لابد أن يفضي
إلى انفجار
، ينبعث من آلامنا وأحزاننا ، وليس هذا فيما أعتقد
ببعيد .

(يخرج اللوردان)

الملك جون : إن الغضب قد تأجج في نفسيهما .

(يدخل رسول)

وإني لأشعر بالندم ،

(١) أو فليكن حظك مثل هذا الحظ .

هيهات أن يقوم بناء على أساس من الدماء .
وأن تنال حياة آمنة بموت الآخرين .

١١٥

(للرسول) إن الرعب باد في عينيك ، أين ذهب الدم
الذي رأيته في وجنتيك من قبل ؟

إن هذا الجو المكفهر لن يصفو إلا بعد عاصفة ،
هلم فأمطرنا بما لديك ، كيف تجرى الأمور في
فرنسا ؟

١١٠ الرسول . كل من في فرنسا يسارع إلى إنجلترا ،

ولم يسبق للدولة أن حشدت
للغزو مثل هذه الجيوش .

وقد تعلموا منك كيف ينجزون أمورهم بسرعة ،
حتى إذا ما أبلغت أنهم يستعدون ،
تصلكم الأنبياء بأنهم قد وصلوا جميعاً .

١١٥

الملك جين : ولكن ما خطاب عيوننا ، أتراها غافلة من شدة السكر ،

أم غلبها النعاس ؟ وأين يقظة أمي ،
حين يجند جيش ضخيم كهذا في فرنسا
دون أن نسمع به ؟

مولاي ، إن في أذنها

الرسول

رغماً يسدها فلا تسمع ،

١٢٠

في اليوم الأول من أبريل توفيت أمك الرفيعة الحسب ،
وقد سمعت أيضاً أن السيدة كنستانس ماتت قبل ذلك
بثلاثة أيام

في نوبة من نوبات الغضب التي كانت تعترها (١)
ولكن هذا النبأ سمعت به عرضاً فهو من الشائعات ،
ولا أعرف مقدار صحته .

١٢٥ الملك جون : أيتها الساعة الرهيبة تمهلي ولا تتعجلي !

كوني معي ، حتى أتمكن من استرضاء نبلائي
الساخطين .

أحقاً ماتت أمي ؟ فأى اضطراب قد اجتاح ممتلكاتي
في فرنسا !

ومن عساه أن يكون القائد
للك القوات الفرنسية

١٢٠ التي تزعم أنها نزلت ديارنا ؟

الرسول : ولي عهد فرنسا .

١٢١ الملك جون : لقد صدعت رأسي بهذه الأنباء السيئة .

(يدخل الدعى ، ومعه بطرس المهرق)

(١) الصحيح أن السيدة كنستانس توفيت قبل ذلك بثلاث سنين لا ثلاثة أيام .

ماذا يقول العالم عن مهمتك التى تقوم بها ؟
لا تحاول أن تحشو رأسى بمزيد من الأنباء السيئة
فإنه ممتلئ بها .

١٣٥ الدعوى : ولكن إذا آيت أن تسمع أسوأ الأنباء ،
فسيحل بك أسوأها دون أن تسمعه .

الملك جيون : اصبر على يا ابن العم ، فإنى كنت فى أشد الحيرة ،
وسط هذا السيل الجارف .

ولكنى الآن أخذت أتنفس مرة أخرى من فوق التيار
وبوسعى أن أصغى لأى قول . فتكلم بما تشاء . ١٤٠

الدعوى : إن مقدار المال الذى جمعته من القساوسة

هو خير دليل على مبلغ نجاحى معهم .

ولكنى — أثناء اضطلاعى بهذه الجهود ، ورحلاتى فى
أرجاء البلاد ،

ألقيت الناس قد تملكتم أوهام عجيبة ،

وعبثت بهم شائعات ولدها الخيال الجامح ،

امتلاّت قلوبهم خوفاً ، ولا يدرون ماذا يخيفهم .

وهاكم أحد المنبشرين ،

أحضرتة معى من شوارع بمفريت ،

وجدته ووراء المئات من الناس ،

١٥٠ وهو ينشدهم بصوت أجش أبياتاً من الشعر ،
فحواها أن سموكم ستنزلون عن تاجكم
قبل ساعة الظهر في يوم الصعود^(١) .

الملك جون : ويلك أيها الحالم البليد ، لم فعلت هذا ؟
بطرس : لعلمي سلفاً أن هذا ، سيحدث حقاً .

١٥٥ الملك جون : هوبرت ! اذهب به إلى السجن ،

ومر بأن يشنق في ظهر ذلك اليوم

الذي زعم أني سأنزل فيه عن تاجي .

خذه وأودعه السجن محفظاً عليه

ثم عد إلينا ، لأنني بحاجة إليك .

(يخرج هوبرت ومعه بطرس)

يا ابن العم العزيز :

١٦٠ أسمعت بالأنباء المتداولة عن الذين وصلوا ؟

الدعي : هم الفرنسيون يا مولاي ، إن نبأ وصوهم يملأ الأفواه ،

وفوق ذلك فقد قابلت لورد بجوت ولورد سالسبوري

وقد احمرت عيونهما كأنها نيران تضطرم ،

كما قابلت غيرهما ، وكلهم يبحثون عن قبر آرثر ،

(١) عيد يقع في اليوم الأربعين بعد عيد الفصح ، يمثل ذكرى صعود السيد المسيح إلى السماء .

الذى يزعمون أنه قتل الليلة
بأمر منكم .

الملك جون : انطلق يا قريبي العزيز ،

واحشر نفسك في زمرةهم ،
فإن لدى وسيلة أسعى بها لاستعادة محبتهم ،
فأحضرمهم إلى .

الدعى : سأبحث عنهم حتى أجدهم .

الملك جون : افعل ، ولكن أسرع ، وأجد السير . ولكن خير قدميك

هى السابقة ، ١٧٠

فإنى لا أريد أن يكون لى أعداء بين رعيتى ،
والخصم الأجنبي يشيع الخوف فى بلادى
بمظاهر الغزو القوى المرعبة .

فكن رسولا كعطارى ؛ واجعل لقدميك أجنحة ،
ثم عد إلى طائراً كالخاطر بعد أن تقابلهم .

الدعى : إن ظروف هذا اليوم العصيب تعلمنى الإسراع .

(يخرج)

الملك جون : لقد تكلم بروح السيد النبيل وهمته .

اذهب وراءه ، فلعله يكون بحاجة إلى رسول
يسعى بينى وبين النبلاء

فلتكن أنت ذلك الرسول .

١٨٠ الرسول : بكل قلبي يا مولاي .

(يخرج)

الملك جون : توفيت أمي إذن !

(يعود هوبرت)

هوبرت : سيدى . يزعمون أن خمسة أقمار ظهرت فى السماء
الليلة ،

منها أربعة ثابتة ،

أما الخامس فكان يدور حول الأربعة فى حركات
عجيبة .

الملك جون : خمسة أقمار ؟

١٨٥ هوبرت : والشيوخ والعجائز فى الشوارع

يننون على هذا تكهنات بالغة الخطر ،

فحديث مقتل آرثر يتردد فى أفواههم ،

وحين يتكلمون عليه

يهزون رؤوسهم ويتهايمسون ،

والمتكلم يقبض على معصم المستمع ،

والمستمع يأتى بحركات تنم عن الشر ،

فيقطب حاجبيه ، ويهز رأسه ، ويحملق بعينه .

رأيت حداداً يقف والمطرقة بيده هكذا ،

تاركاً الحديد يبرد على السندان ،

وهو فاغر فيه يلتمهم أنباء يدلى بها خياط ،

يحمل في يده مقصه ومقياسه ،

ولشدة عجلته

لبس كلاً من نعليه في غير القدم التي يجب أن يلبسها

فيها ،

وهو يتحدث عن آلاف مؤلفة من المحاربين الفرنسيين ،

وقد حشدوا جموعهم وتأهبوا للقتال في مقاطعة كنت ،

وفي أثناء ذلك يقاطعه عامل نحيل القامة ،

زرى المنظر ، بكلام عن مقتل آرثر .

الملك جون : مالك تجتهد لئلاّ صدرى بهذه المخاوف ؟

ولماذا تكثر من ذكر مقتل آرثر ؟

إن يدك هي التي اغتالته ، ولئن كان لدى من الأسباب

ما يجعلني أرتجى موته ،

فإنه لم يكن لديك أنت سبب يدعوك لقتله .

هربرت : لم يكن لدى ، يا مولاي ؟ ألسنت أنت الذي حرصتني ؟

الملك جون : من فكك الدنيا على الملوك

أن يكون في حاشيتهم عبيد ،

يحسبون نزوات الملوك تكليفاً لهم بأن يقدموا على سفك
الدماء ،

٢١٠

يتوهمون أقل إشارة من السلطان أمراً واجب التنفيذ ،
ويسيثون تأويل غضب الملوك ،
وربما كان صادراً عن نزوة عابرة ،
لا عن تفكير وتدبير .

٢١٥ هوبرت : هاك خطك وخاتمك على الأمر الذى قمت بتنفيذه .

الملك جون : يوم يكون الحساب الأخير بين السماء والأرض ،

سيكون هذا الخط والخاتم

شاهدين على إثمى .

وكم من مرة كانت رؤية الوسائل التى تعين على فعل
الشر

مغرية بارتكابه ،

٢٢٠

فلو لم تكن أنت على مقربة منى ،

وأنت شخص هيأته الطبيعة لارتكاب العار ،

لما خطر لى هذا القتل ببال .

ولكنى لاحظت مظهرك الشرير ،

فرايتك صالحاً لارتكاب القتل الغادر ،

٢٢٥

جديراً بأن تستخدم فى مهمة خطيرة وقادراً عليها ،

فأفضيت عليك بتلمييح طفيف عن موت آرثر .
 فلم يردك ضميرك عن قتل أمير ،
 ابتغاء مرضاة مليكك .

٢٣٠ هوبرت : مولاي

الملك جون : فلو أنك هزرت رأسك ، أو أظهرت بعض التردد

حين لحت إليك بما أنتويه ،
 أو نظرت إلى وجهي نظرة الشك ،
 كأنك تريد مني أن أقص قصتي بعبارات واضحة ،
 إذن لأخرسني الحجل وعدلت .

٢٣٥

ولأثارت مخاوفك المخاوف في قلبي .
 ولكنك فهمت مرادى من أقل إشاراتي ،
 وبالإشارة أيضاً أبديت استعدادك للإثم .
 أجل ولم تلبث أن جعلت قلبك يرضى ،
 ويدك الحشنة تندفع لارتكاب المفظع ،
 الذى أبى لسان كلينا أن يذكره لفظاعته .

٢٤٠

اغرب عن ناظري ، ولا ترني مرة أخرى !
 لقد انفض نبلاني من حولي ، والخصوم يتحدثون
 سلطاني ،
 حتى على أبواب مملكتي ، بمجموع من القوات الأجنبية ،

بل إن جسمى هذا ،

٢٤٥

وهو مملكة من لحم ودم ونفس ،
قد شاع فيه العدا ، ونشب فيه قتال داخلى
بين ضميرى وبين مقتل ابن عمى .

هوبرت : ادخر سلاحك لقتال أعدائك الآخرين .

فإنى سأعقد السلم ما بين روحك وبينك ،
إن آرثر الصغير حى يرزق ،

٢٥٠

ويدى هذه لم تزل طاهرة بريئة ،
لم تختضب بقطرات الدم القانى ،
وصدرى هذا لم تدخله بعد
نزعة إلى سفك الدماء .

٢٥٥

إنك أهنت الطبيعة فى شخصى ،
ومهما يكن فى مظهرى من الحشونة والجفاء ،
فأ هو إلا غطاء لقلب

أطهر من أن يقدم على ذبح طفل برئ .

٢٦٠ الملك جون : آرثر على قيد الحياة ؟ أسرع إلى النبلاء ،

وألّق على غضبهم المستعر هذا النبأ ،
حتى تردهم إلى الهدوء والطاعة .

واصفح عما دفعنى إليه الغيظ من نقد لشكلك .

لقد أعماني الغضب ،

فتوهمت عيني الملتبهة

بأنك أكثر دمامة مما أنت عليه .

لا تجب بكلمة ،

بل بادر بإحضار النبلاء الناقمين إلى حجرتي بأسرع

ما يمكن :

أراك بطيء الحركة . فأسرع ما استطعت !.

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

أمام القلعة

(يدخل آرثر بأعلى السور)

آرثر

إن السور عظيم الارتفاع ، ولكنى سأثب إلى أسفل ،
أيتها الأرض الطيبة ، أشفقى على ولا تؤذيني !
يوشك ألا يكون هناك أحد يعرفنى وإن كان هناك
من يعرفنى ،
فإن زى البحار هذا الذى تنكرت به ، كفى بل إخفاء
أمرى .

إنى خائف ، ولكن لا بد من المجازفة ،
فإن سقطت دون أن تتحطم أوصالى ،
وجدت ألف وسيلة للهرب ،
وسيان أن أموت حرّاً أو أموت سجيناً .
(يشب ويغمى عليه لحظة)

٥

وبلى إن لهذه الأحجار قسوة قلب عمى .
فالتصعد إلى السماء روحى ، ولتحفظ إنجلترة عظامى !
(يموت)

١٠

(يدخل اللوردات پمبروك وسالسيورى وبيجوت)

سالسيورى : سألقاه فى سنت إدمند سبرى :

فالأمر يتصل بسلامتنا وجدير بنا أن نتقبل
هذا العرض الكريم فى هذا الوقت الحرج .

پمبروك : من الذى أحضر ذلك الكتاب من الكردينال ؟

١٥ سالسيورى : الكونت ميلون أحد نبلاء فرنسا ،

والذى أسره إلى عن محبة ولى عهد فرنسا لنا
أعظم مما تضمنته هذه السطور .

بيجوت : إذن دعنا نلقاه صباح غد .

سالسيورى : أو بالأحرى نذهب للقائه ،

٢٠ إذن لابد لنا من مسير يومين كاماين قبل أن نلقاه .

(يدخل الدعى)

الدعى : يسرنى أن ألقاكم اليوم مرة أخرى ، أيها السادة
المحنقون .

كلفتى الملك أن أدعوكم لحضرته فوراً .

سالسيورى : لقد قطع الملك ما بيننا وبينه من صلة .

فلن نجعل من شرفنا التى بعد اليوم بطانة لطيلسانه
الرقيق الملوث ،

ولن نرافق أقداماً

تترك أثر الدماء أينما سارت .

عد إليه إذن ، وأبلغه أننا على علم بأسوأ الاحتمالات .

الدعى : أيّا كان رأيكم ، فالأفضل أن تحسنوا القول .

السبوري : إن أحزاننا هي التي تملئ علينا القول ، لا عقولنا أو أدينا .

٣٠ الدعى : ولكن أحزانكم ليس لها ما يبررها ،

لهذا يقضى العقل بأن تلتزموا آدابكم .

ممبروك : سيدي ، سيدي ، إن للضجر حقه^(١) .

الدعى : أجل له الحق أن يؤذى صاحبه لا أى شخص آخر .

السبوري : هذا هو السجن الذي أودع فيه . (يرى أثر) ما هذا

الطريح على الثرى

ممبروك : افخر أيها الموت بإحرازك هذه التحفة الملكية وحسنها

الرائع

٣٥

ليس في الأرض حفرة ، يوارى فيها هذا الصنيع البشع .

السبوري : كأن القتل في بغضه لما ارتكب من الإثم ،

قد تركه معرضاً للأنظار ، حفصاً على الأخذ بثأره .

بيجوت : أو أنه حين أراد أن يوارى هذا الجملال في قبر ،

(١) أى أن الشخص الذي ضجر وعيل صبره لا يحاسب على ما يقوله .

الفاه أعز وأشرف من أن يلقى به في قبر .

٤٠

سالمسورى : ماذا ترى يا سر رتشارد ، بعد هذا الذى شهدته ؟
هل قرأت أو سمعت ؟ هل تستطيع أن تتصور ،
أو أن تحاول أن تتصور هذا الذى نراه ، على الرغم
من أنك تراه ؟

وهل يستطيع الفكر أن يتصور مثل هذا المنظر ،

٤٥

ما لم يره ويشهده ؟ إن هذا يمثل القمة ،
أو الذروة ، بل ذروة الذروة فى عالم الإجرام .

هذا أفظع العار وأشنع مراتب الوحشية ،
وأحط ضربة ضربها الغضب الأحمق
الذى أعماه الهياج .

٥٠

فأهاج الدموع وحرك القلوب .
سالمسورى : إن جميع الجرائم التى ارتكبت لتستحق المغفرة ، إذ
قيست إلى هذا الجرم ،

إنه جرم فظ منقطع النظير ،
وهو جدير أن يضفى القداسة والبراءة
على جميع الآثام التى لم ترتكب بعد .

٥٥

فكل دم يسفك بعد هذا
يعد لوناً من ألوان العبث ، إذا قورن بهذا الجرم
البشع .

الدعى

: إنه لعمل لعين مفضّع ،

ارتكبته يد شريرة آثمة ،

إذا كان هذا من صنع أحد من الناس .

٦٠ سالسبورى : إذا كان هذا من صنع أحد !

كنا نشعر بما سيحدث :

فهذا الجرم المخزى هو من صنع هوبرت

بتكليف وتدير من الملك ،

الذى أصبحت طاعته حراماً على نفسى ،

وإنى لأركع الآن أمام هذه الرفات الطاهرة ،

٦٥

وأنطق لديها — وهى التى حرمت النطق —

فأحلف يميناً خطيرة ، يميناً مقدسة :

ألا أذوق للذات الحياة طعماً ،

أو يعرف السرور سبيلاً إلى قلبى .

أو أجنح إلى الراحة والدعة ،

٧٠

حتى أكسو يدى هذه مجدأ عظيماً

بأن أتبع لها شرف الانتقام .

ممبروك ويميجوت : نعاهدك بأرواحنا على التمسك بما قلته .

(يدخل هوبرت)

هوبرت : أيها السادة ، إنى أتصيب عرفاً لشدة إسراعى فى البحث عنكم :

٧٥ إن آرثر حى يرزق ، وقد أرسلنى الملك فى طلبكم .

سالمورى : يا له من جرىء لا ينجل من الموت ،

اخساً أيها الدنىء واذهب من هنا .

هوبرت : ما أنا بالدنىء .

سالمورى : أما لى بد من أن أغتصب سلطان القانون ؟

(يجرّد سيفه)

الدعى : إن سيفك ناصع البياض ، فأعده إلى غمده .

٨٠ سالمورى : لن أعيده قبل أن أعغمده فى جلد سفاح .

هوبرت : احذر يا لورد سالمورى ، احذر قلت لك ،

فوحق السماء إن سيفى فى مثل مضاء سيفك

ولا أود لك يا لورد أن تنسى نفسك ،

فتتعرض للخطر حين أدافع عن نفسى .

٨٥ إن ثورتك هذه

قد تنسينى مقامك ورببتك ونبالتك .

بيجوت : اخساً يا كومة القمامة ! أبلغت بك المرأة أن تتحدى

سيداً نبيلاً ؟

هوبرت : كلا بحياتى ، ولكنى أجرؤ

على الدفاع عن حيائي البريئة ضد إمبراطور .

سالمبوري : إنك قاتل سفاح .

٩٠ هوبرت : لا تدفعني لإقامة الدليل على ذلك^(١) ،

ولكن التهمة باطلة . ومن نطق لسانه بالباطل ،

لم يقل الصدق ، ومن لم يقل الصدق كان كاذباً .

ممبروك : قطعه إرباً .

الدعي : الزموا الهدوء .

سالمبوري : تنح يا فولكنبرج ، وإلا آذيتك .

٩٥ الدعي : أيسر لك أن تؤذى الشيطان يا سالمبوري ،

إنك لو نظرت إلى عابساً ، أو حركت قدمك

أو دفعتك الغضب والتسرع لأن توجه لي إهانة ،

لقتلتك من فوري ، فبادر بإغماد سيفك

قبل أن أتركك وحديدتك هذه

١٠٠ بحيث تظن أن الشيطان أقبل من الجحيم .

بيجوت : ماذا عساك أن تفعل يا فولكنبرج المجيد ؟

أتريد أن تحمي سفاحاً دنيئاً ؟

هوبرت : لست سفاحاً ، يا لورد بيجوت .

(١) أي لا تمن في إهاتني فتضطرني لقتلك .

بيجوت : إذن من الذى قتل الأمير ؟

هوبرت : منذ ساعة تركته سليماً ،

لقد كنت أجله وأحبه ، ١٠٥

وسأبكيه عمرى كله حزناً على فقد حياته العزيزة .

السبورى : لا تخدعنكم هذه الدموع الماكرة الساقطة من عينيه ،

لأن النذالة لا تخلو من مثل هذه العبرات ،

وهو يستطيع بفضل طول ممارسته أن يجعلها

تبدو فى صورة أنهار متدفقة من الأسف والبراءة . ١١٠

تعالوا معى يا من تشمئز نفوسهم

من رائحة المجازر الكريهة ،

فإنى أوشك أن أختنق برائحة هذا الإثم .

بيجوت : انذهب إلى برى ، للقاء ولى عهد فرنسا .

١١٥ : قل للملك إن بوسعه أن يبحث عنا هناك .

(يخرج اللوردات)

الدعى : يا له من عالم عجيب ! هل كان لك علم بهذا المنكر ؟

لئن كنت أنت المرتكب لهذا القتل يا هوبرت

فإنك ملعون لعنة تفقدك كل أمل فى الرحمة الواسعة

التي لاحد لها .

هوبرت : أرجوك أن تستمع إلى يا سيدى

١٢٠ الدعوى : بل ستحل بك لعنة

يسود لها وجهك سواداً ليس له نظير ،
وستكون ملعوناً لعنة أبعد غوراً من لعنة إبليس ،
وليس في أرجاء الجحيم شيطان أشد قبحاً ودمامة ،
مما ستكون أنت عليه ، إذا كنت أنت قاتل هذا
الطفل .

هوبرت : إلى أقسم لك . . .

١٢٥ الدعوى : حتى لو كنت وافقت فقط
على هذا الجرم الشنيع ، فإنك لن يبق لك في الحياة
إلا اليأس والقنوط ،

ولو التمسست حبلاً

فإن أوهى خيوط العنكبوت كاف لشنقك ،

ويكفي أن يعلق الخيط في عود ضئيل من الحطب ، ١٣٠

ولو جعلت في ملعقة قليلاً من الماء

لكان كالبحر المحيط اتساعاً ،

حتى يغرق فيه مثل هذا المجرم الأثيم (١) .

(١) تتضمن هذه العبارة إشارة إلى فكرة سائدة بأن من ارتكب جريمة تعرض للنقمة بأوهى الأسباب ، فخيوط العنكبوت يكفي لشنقه معلقاً على عود من الحطب ، وقليل من الماء يكفي لإغراقه ، ولو كان ملء ملعقة .

لعمري إني لشديد شوق الظن بك .

هوبرت

ألا فلتعذبنى الجحيم

١٣٥

بأفضع ما بها من الويلات والآلام ،

إن كنت ارتكبت بالفعل أو القول أو الفكر ،

جريمة لإزهاق هذا الروح الطاهر ،

الذى كان مودعاً في هذا الجسد الخميل ،

لقد تركته سليماً معافى .

الدعى

أذهب فاحمله بين ذراعيك .

١٤٠

يخيل إلى أن الدهشة جعلتني أضل السبيل

ما بين أشواك الحياة وأخطارها .

سهل عليك أن تحمل كل إنجاعة بين ذراعيك

حين تحمل هذه القطعة من الجسد الملكى الميت .

إن ما في هذه المماكة من حياة وهدوء واستقرار

قد طار إلى السماء . وصار أمر لإنجاعته

١٤٥

إلى الدفع والجذب والعنف ، وإلى التكالب على

المصالح

والمنافع الضخمة في الدولة التى ليس لها الآن صاحب ،

الآن تنشب الحرب أظفارها ،

وتكشر عن أنيابها لآلتهم عظام الملك العارية ،

وهي تحملى بغضب فى عيون السلم الوديعه .
الآن تحتشد القوى المغيرة من الخارج والقوى الثائرة
من الداخل ،

وتقف صفًا واحداً . والفوضى تحلق وتحوم ،
كما يفعل الغراب فوق جسد وحش صريع ،
انتظاراً للخطة التى يشيع فيها الاضطراب بسبب التنازع
على الملك .

سعيد من استطاع وسط هذه العاصفة الهوجاء ، أن
يحتفظ بشيابه على جسده .

احمل هذا الطفل إلى مكان أمين ، واتبعنى بسرعة .
إنى ذاهب إلى الملك ،

فإن هناك ألف مسألة تتطلب النظر السريع .
وإن السماء نفسها لساخطة على هذه البلاد .

الفصل الخامس

المنظر الأول

بلاط لإنجلترا

(يدخل الملك جون وپاندولف والحاشية)

الملك جون : مأنذا أضع في يدكم

تاج مجدى .

(يلم التاج)

پاندولف : تسلمه مرة ثانية من يدى :

إيداناً بأنك تتلقى عظمتك الملكية

وسلطانك من البابا .

(يرد إليه التاج)

الملك جون : والآن حافظ على الوعد المقدس الذى قطعته : اذهب

إلى الفرنسيين .

٥

واستخدم كل ما حباك به قداسته من سلطان

لوقف غزوهم .

فقد اشتد الهياج . وأخذت المقاطعات المتدمرة تنور .

والناس يشقون عصا الطاعة .

ويقسمون يمين الولاء والإخلاص
لعناصر غريبة وملك أجنبي .
فهذا الفيض الدافق من الأمزجة المضطربة
لن تعود سيرتها الأولى إلا بمجهودك .
فلا تبطل ، فإن عصرنا هذا قد بلغت به العلة
درجة ،

١٠

لا بد معها من المبادرة بمعالجتها الآن ،
قبل أن تظهر أعراض لا يرجى لها شفاء .
: إن نفسى هو الذى أثار هذه العاصفة ،
بسبب لمعائك فى الإساءة إلى البابا ،
فأما وقد أصبحت مؤمناً ، رقيق الحاشية ،
فإن لسانى كفى بأن يسكن عواصف الحرب ،
وينشر جواً هادئاً فى هذه البلاد المضطربة .
فلنذكر إذن ، فى يوم الصعود هذا ،

١٥

پاندولف

٢٠

أنى ، من أجل يمين الولاء التى أقسمتها للبابا ،
سأذهب الآن لأحمل الفرنسيين على أن يلقوا
سلاحهم .

(مخرج)

٢٥ الملك جون : هل اليوم هو عيد الصعود ؟

ألم يتنبأ ذلك المتنبي أنى سأنزل عن تاجى قبل ظهر
يوم الصعود؟

وقد فعلت ما تنبأ به ،
لكنى توهمت أنى سأفعله مكرهاً .
فالحمد لله على أنى فعلته مختاراً .
(يدخل الدعى)

٣٠ الدعى

: إن مقاطعة كنت سلّمت كلها ،
ولم يبق من يقاوم سوى قلعة دوفر ،
وقد استقبلت لندن ولى العهد وجيشه استقبال الضيوف
الكرام .
ونبلاؤك أبو أن يستجيبوا لدعوتك ، وآثروا أن يمشوا
ليعرضوا خدماهم على العدو ،
أما العصبة الصغيرة من أصدقائك ، غير الموثوق بهم
كثيراً ،

٣٥

فقد ملكتهم الحيرة والارتباك .

الملك جون

: أياي لورداتى أن يعودوا

بعد أن سمعوا أن آرثر الصغير على قيد الحياة .

الدعى

: لقد وجدوه صريعاً ، ملق فى الطريق ،

كأنه وعاء فارغ ،

٤٠

انتزعت منه جوهرة الحياة يد لعينة .

الملك جون : لقد أبلغنى ذلك الدنىء هوبرت أنه ما برح على قيد الحياة .

: إنه تكلم بما كان يعلم .

الدعى

ولكن ما بالك مطرقاً واجماً ؟ وماذا تبدو حزيناً كئيباً ؟

كن عظيمًا فى العمل كما كنت عظيمًا فى التفكير ، ٤٥

ولا تدع العالم يرى

أن العين الملكية يحركها الخوف والكآبة وسوء الظن .

كن نشيطاً كالزمن ، والى النار بالنار .

وهدد من يهددك ، وتحذ من يتشدق بالويل ويتوعد ،

حتى تستطيع النفوس الضعيفة ، ٥٠

التي تتطلع إلى العظماء وتحاكيهم ،

أن تتخذك مثالا وقدوة . فتستمد منك القوة والعظمة ،

وترتدى ثوب العزيمة والجرأة .

انطلق إذن ، والمع كأنتك إله الحرب

حين يريد أن يزدان به ميدان القتال ! ٥٥

اظهر الجرأة ، وهمة الواثق بنفسه .

عجباً هل ندعهم يدخلون على الليث فى عرينه

ويزعجونه فيه ، ويجعلونه يرتعد هناك ؟
إن لك مندوحة عن هذا ، اذهب أنت باحثاً عن
الفريسة ،

٦٠

وانطلق لتلقى السر بعيداً عن أبوابك .
وحاربته هناك قبل أن يدنو منك إلى هذا الحد .

الملك جون : كان معى مندوب البابا اليوم ،

فعقدت معه صلحاً موفقاً ،

وقد وعد بأن يرد الجيش

الذى يقوده ولى عهد فرنسا .

٦٥ الدعى

يا له من اتفاق وضيع !

أيليق بنا ، وقد وطئت أقدام العدو أرضنا ،

أن نصطنع السباحة والاعتدال ،

ونلقى الجيوش الزاحفة بالتودد والمفاوضة والمهادنة الدنيئة

أو نسمح لفتى أمرد وطفل ناعم مدلل

أن يقتحم أرضنا ، لكى تتعلم روحه القجة

مبادئ القتل وسفك الدماء فى محاربتنا ،

٧٠

وينشر راياته فى جو بلادنا فى سخرية وكبرياء ،

فلا يلتقى من يعترض سبيله ؟

هيا يا مولاي إلى السلاح .

فربما لم يستطع الكردينال عقد ذلك الصلح .
 وإن استطاع فلا أقل من أن يقول الناس
 إنهم شهدوا منا استعداداً للدفاع .

٧٥

الملك جون : لتتول أنت القيام بها يلزم في الوقت الحاضر .
 الدعي : لنذهب إذن معتمدين بالشجاعة ،

على أني واثق أن رهطنا يستطيع أن يلقى عدوًّا أجل
 خطراً .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الثاني

معسكر ولى عهد فرنسا
فى سنت إدمندسبرى

(يدخل لويس وسالسىورى وميلون وبيروك وبيجوت بكامل
أسلحتهم ، ومعهم جنود)

لويس : يا لورد ميلون ، كلف من يقوم بنسخ هذه الوثيقة ،
وحافظ عليها ، لنرجع إليها متى شئنا .
أما الأصل فأعده إلى هؤلاء اللوردات^(١) .
وبهذا نكون قد سجلنا عهدنا كتابة ،
لكى يقرأوه كما نقرؤه ،

° فيعلموا بما تعاقدنا وأقسمنا عليه ،
حتى نحافظ على عهدنا بقوة ، ولا نفكر فى نقضه .
سالسىورى : ولن ننقض نحن هذا الميثاق أبداً ،
ولئن كنا ، أيها الأمير الكريم ،

(١) الوثيقة المشار إليها هى التى تضمن للنبله حقوقهم . وقد سبق للملك جون أن
اعترف بهذه الحقوق فى الوثيقة الشهيرة ماجنا كارتا ، وقد حرصوا على أن يحصلوا من لويس
على ضمان مماثل لقاء تأييدهم له .

- ١٠ أقسمنا اليمين طوعاً لا كرهاً ،
وعاهدناك مختارين على تأييدك
فكن واثقاً أنى لست سعيداً
بأن أرى قروح هذا الزمن
تعالج بضامات الثورة والعصيان اللعين ،
١٥ فنشئ علة جرح واحد ،
باستحداث جروح كثيرة
ولانى ليحزننى أن أستل سيفى من جانبي
لكل أستكثر من الأرامل ،
وهناك من ينادينى « سالسبورى »
٢٠ لكى أذافع وأحمى الذمار .
ولكن بلغ من فساد هذا الزمان
أننا لكى نحافظ على حقنا صحيحاً سليماً ،
لا بد لنا أن نساير العدوان ، وأن نستعين بالباطل (١) .
أليس مما يبعث الأسف - يا أصدقائى الحزوين ،
٢٥ أننا ونحن أبناء هذه الجزيرة وذرايها ،
وقد ولدنا لكى نشهد ساعة غم وكدر كهذه الساعة ،
التي نسعى فيها وراء الأجنبي ،

(١) أى بمناصرة الأجانب المغيرين على الأوطان .

وندوس ثراها الجميل ،

ونعلاً صفوف أعدائها ؟

اعذروني إذا تساقط دمعي من عار هذا الموقف الذي

أكرهنا عليه ،

٣٠

حيث نضطر لتمجيد سادة أتوا من بلد غريب ،

وتخفق ها هنا على رؤوسنا أعلام لا عهد لنا بها ؟

أيجدث هذا كله ها هنا ؟ ويحك أيتها الامة ، ليتك

تستطيعين الرحيل ،

وليت ذراعي نبتون التي تطوقك من كل جانب ،

تترعانك من مكانك فلا تعرفين نفسك ،

٣٥

وتلقيان بك على شاطئ وثنى ،

حيث يستطيع هذان الجيشان المسيحيان

أن يوحدوا قواتهما في مجهود مشترك .

بدلاً من تبديدها في قتال يتنافى وحقوق الحوار (١) .

٤٠ لويس : إنك لتكشف في قولك هذا عن خلق كريم ،

وإن اعتراك العواطف في الصدور النبيلة

ليهزها هزاً كأنه زلزال ،

(١) يرى بعض الشراح في هذه الجملة إشارة إلى كتاب من البابا يحض على الحروب الصليبية بدلاً من محاربة النصارى بعضهم بعضاً .

فيها من معركة شريفة خضت غمارها
 ما بين حكم الضرورة ، والتقاليد الماثورة .
 دعنى أمسح بيدي هذا الدمع المشرف ،
 الذى يجرى كالفضة على خديك .
 لقد ذاب قلبي من قبل لدموع امرأة .
 مع أنها شئ مألوف .
 أما أن تتساقط قطرات كهذه ملؤها الرجولة ،
 فإن هذا الغيث الذى ينهمر من عاصفة تجيش بها
 النفس ،

٤٥

٥٠

ليبعث الحيرة فى عيني ويبعث فى من الدهشة
 أكثر مما أحسه ، لو أنى أبصرت قمة السماء
 تغطيها شهب تلمع وتتوقد .
 أى سالسبورى رفيع القدر ! ارفع رأسك ،
 وسكن هذه العاصفة الهوجاء ، بما فى قلبك العظيم من
 قوة وبأس ،

٥٥

وخل هذه العبرات لعيون الطفولة ،
 أولعيون الخلق التى لم تشهد ما يثور فى العالم الضخم من
 الهياج ،
 ولم تعرف من تقلبات الحظ إلا ما قد تصادفه فى
 الحفلات ،

لرجل همه المرح والعبث وفضول الحديث .
تعال ، تعال . فإنك ستنال من كنوز الثراء العريض

٦٠

ما يناله لويس نفسه ،
وكذلك أنتم أيها الأشراف ،
الذين شددتم أزرى ، وأضفتم قوتكم إلى قوتي .
(يدخل پاندولف)

وأظن أنى الآن نطقت بحكمة الملائكة^(١) .

انظروا إلى المندوب المقدس مسرعاً نحونا ،
لكى يمنحنا البركة من يد السماء
ويطلق على جميع أعمالنا اسم الحق ،
بنفسه الطاهر المقدس .

٦٥

پاندولف : سلاماً يا أمير فرنسا الشريف

أما بعد ، فإن الملك چون قد أصلح ما بينه وبين روما .

وروحه التى كانت من قبل ناثرة على الكنيسة المقدسة .

٧٠

قد خضعت خضوعاً تاماً

لمركز السلطان الدينى العظيم فى روما .

لهذا أسألك أن تطوى هذه الأعلام الخناقة المتوعدة ،

(١) لعل الملائكة هنا إشارة إلى صورة الملائكة على بعض أنواع العملة ، وذلك بعد

أن وعد لويس اللوردات بالمال .

وأن تروض روح الحرب الضروس الوحشية ،

حتى يكون مثلها كمثل الأسد ، الذى نشأته بيدك ،
وفى وسعك أن تجعله يرقد هادئاً تحت قدم السلام ،
فلا يكون فيه من الأذى أكثر مما لو كان فى ملعب :

لويس : عفواً يا صاحب النيافة ، ولكنى لن أتراجع .

إن شرف مولدى يابى على

أن أكون مجرد آلة ، ٨٠

وأن أحتل مكاناً ثانوياً فى الحكم ،

أو أن أكون خادماً نافعاً وأداة طيعة فى كف أى
سلطان فى العالم .

لقد كان نفسك أول شيء أشعل نار الحرب الخامدة ،
ما بين هذه المملكة التعسة وبينى ،

وأنى بالوقود الذى يزيد بها اشتعالاً واضطراباً ، ٨٠

وهى الآن أضخم وأعظم من أن يطفئها
تلك الريح الضعيفة التى أشعلتها ،

إنك أنت الذى علمتنى كيف أعرف وجه الحق ،
وأرشدتنى إلى ما لى من المصلحة ، فى هذه الأرض ،

بل وألهبت قلبى تحمساً لهذه الحملة ، ٩٠

فهل تجيء الآن لتخبرنى أن چون
أصلح ما بينه وبين روما ،
ما الذى يعينى من هذا الصلح ؟
إنى بحكم المصاهرة أصبحت صاحب الحق فى هذه
البلاد بعد الفتي آرثر .

والآن ونصفها فى يدى أينبغى لى أن أتقهقر ،
لأن چون قد عقد الصلح ما بينه وبين روما ؟
فهل أنا عبد لروما ، كم درهماً دفعت روما ،
وكم جندياً حشدت ، وذخيرة أرسلت ، لمؤازرة هذه
الحملة ؟

٩٥

أأست أنا الذى أحمل هذا العبء ؟
من غيرى أنا والذين ينصروننى فى مطالجى ،
يشقى بهذا المجهود ويصطلى بأوار هذه الحرب ؟
ألم أسمع أبناء هذه الجزيرة يهتفون لى
« ليحيا الملك » ، كلما استوليت على مدنهم ؟
أليست فى يدى أحسن أوراق اللعب ،
لكى أكسب هذه المقامرة السهلة ،
للظفر بتاج الملك ؟
فهل أسلم الآن هذه الأوراق الظافرة ؟

١٠٠

١٠٥

لا لعمرى ! لن يقال يوماً إنى ارتكبت مثل هذه
الحماسة .

پاندولف : إنك لا تنظر إلا إلى ظاهر هذا الأمر .

١١٠ لويس : سيان عندي ظاهر وباطنه ،

ولن أعود حتى ينال مجهودى هذا

من المجد ما أملت ، وما وعدت به ،

قبل أن أحشد هذا الجيش الشهم المنتخب ،

وأخير له هذه النفوس الملهبة من مختلف الأقطار ،

وهى تتطلع للفتح

١١٥

ولا اكساب المجد من بين أنياب الخطر والمنون .

(ينفخ فى البوق)

ما الذى يدعونا إليه هذا البوق القوى الصوت ؟

(يدخل الدعى بجراسه)

الدعى : اسمحوا لى أن أتحدث إليكم

طبقاً للنظم والأوضاع المقررة فى العالم .

وقد أرسلنى إليكى .

١٢٠ مولاى صاحب النياقة وكردينال ميلان ، جئت لأعلم

ما فعلت له .

وسأعرف ، عند إجابتك لى ،

مدى ما يستطيع لسانى أن ينطق به فى حدود ما خولنى
إياه مولائى .

پاندولف

: إن أمير فرنسا يرفض فى عناد وإصرار .

ويأبى أى تراض فيما أتوسل به إليه .

١٢٥

ويعلن فى صراحة أنه لن يلقى سلاحه .

أقسم بكل الدماء المتفجرة من سطوة الهيجاء ،

الدعى

لقد تكلم الفتى فأحسن ، استمعوا الآن إلى مليكننا

الإنجليزى ،

وإليكُم كلام جلالته ، يلقيه بلسانى :

إنه على تمام الاستعداد ، ويحق له أن يكون كذلك ،

١٣٠

أما هذا الحشد السخيف الوقح ، وأما هذه الخوذات

والمغافر الحديدية ، وهذه الحفلات الصاخبة .

وأما هذه القحة الصبيانية .

والجيش المؤلف من أحداث أغرار .

فينظر إليه الملك بابتسام .

وهو على أتم أهبة ليضرب بسوطه حرب القماء وجيوش

الأقزام هذه

١٣٥

حتى يخرجها من أراضيه .

إن اليد التى استطاعت . - عند أبواب أوطانكم -

- أن تنكل بكم وجعلتكم تلوذون بالهرب ،
وتغوصون كما تغوص الدلاء في الآبار الخفية العميقة ،
وتقبعون في مراقد الحيوان داخل الاصطبلات ، ١٤٠
وترقدون في صناديق وحائب ، كأنكم بضاعة مرهونة ،
وتبيتون مع الخنازير ،
وتلمسون النجاة في السرايب والسجون ،
وترتعدون فرقاً لمجرد سماعكم ديكاً يصبح من أدياك
بلاذكم ،
توهماً منكم بأنه صوت إنجليزى مسلح . ١٤٥
فهل تضعف ها هنا تلك اليد المظفرة ،
التي نكلت بكم أشد التنكيل وأنتم في حجراتكم ؟
كلا ألا فاعلموا أن الملك الباسل قد لبس عدة الحرب ،
وهو يحوم كالنسر المخلق من مقره في السماء ،
لكى ينقض ويفترس الذين تجرأوا على الدنو من عشه . ١٥٠
أما أنتم أيها المتمردون العصاة ، التاكرون للجميل .
أنتم أيها السفاحون ، الذين تمزقون رحم أمكم العزيزة
إنجلترا ،
فلتواروا وجوهكم خزيًا وعاراً ،
فإن نساءكم وبناتكم الشاحبات الوجوه

قد أقبلن خلف الطبول كالنساء المحاربات في أساطير
الأقدمين ،

١٥٥

وقد جعلن من كل كسّبان درعاً ،
ومن الإبر حراباً ، ومن قلوبهن الرقيقة
عزيمة ماضية تنشد الحرب والقتال .

لويس : حسبك ما نطقت به من وعيد ، وارجع أذراجك
بسلام ،

١٦٠

إنا نسلم بأنك أبرع منا في السباب . وداعاً
فإن وقتنا أثمن من أن نصرفه
مع متشدق مثلك .

پاندولف : ائذن لي في الكلام .

الدعى : بل أنا أتكلم .

لويس : لن أستمع لك أو له .

هلم فدقوا الطبول ، ودعوا لسان الحرب

١٦٥

ينطق مدافعاً عن مصالحنا وعن وجودنا ها هنا .

الدعى : أجل إن طبولك متى ضربت صرخت ،

وستصرخ أنت أيضاً إذا ما ضربت .

فإذا انبعث الصدى من دقات طبلك ،

فإن بالقرب منك طبلا مشدوداً يرسل إلى الآفاق دويئاً
كدويك ،

١٧٠

وإذا أرسلت صدى آخر ، ارتفع نظيره
حتى يرن في آذان السماء ، أعلى من هزيم الرعد .
فإن الملك جون المحارب على مقربة منكم
إذ لم يثق بكلام المندوب الديني المتردد هذا .
وقد كان استخدامه إياه من قبيل العبث لا الحاجة .

١٧٥

إن الموت الزؤام جالس ، في جبهة مليكنا^(١) ،
عارى الأضالع ،
همه أن يفترس الآلاف من الفرنسيين .

لويس : دق الطبول ، لكي نكشف عن هذا الخطر .

١٨٠ الدعى : وستجده أيها الأمير الفرنسي دون أدنى شك .

(يخرج)

(١) اصطلاح إنجليزي قديم ، يصف القائد المقبل على العدو بأن الموت جالس

في جبهته .

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ميدان القتال

(صوت البوق : يدخل الملك چون وهوبرت)

الملك چون : نبئني يا هوبرت : كيف تسير أمورنا اليوم ؟
 هوبرت : أخشى أن أقول إن سير الأمور ردىء ، وكيف جلالتم ؟
 الملك چون : إن هذه الحمى التي لازمتني هذه المدة الطويلة ،
 وقعها ثقیل على ؛ أجل وقلبي مريض أيضاً .
 (يدخل رسول)

٥ الرسول : مولاي : إن قرييكم الباسل فولكنبرج ،
 يلتمس من جلالتم أن تغادروا الميدان ،
 وأن تثبتوه على لساني عن وجهتم .
 الملك چون : بلغه أن وجهتنا سوينستد ، إلى الدير هناك .
 الرسول : ولتطمئن أنفسكم ، فإن الإمداد الكبير
 ١٠ الذي كان الأمير الفرنسي ينتظر وصوله هنا ،
 قد تحطم على رمال جودون منذ ثلاث ليال ،
 وقد وردت الأنباء إلى ريتشارد منذ قليل ،

أما الفرنسيون فيحاربون بفتور ويتراجعون .
 الملك جون : وبلى من هذه الحمى الظالمة ، التي تحرق جسدى ،
 ولا تدعنى أرحب بهذه الأنباء السارة . ١٥
 سيروا بنا إلى سوينستد ، احملونى على المحفة فوراً ،
 فإن الضعف قد استولى على ، وأوشك أن يغمى على .
 (يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

مكان آخر من ميدان القتال

(يدخل سالسورى و مبروك و بيجوت)

سالسورى : لم أكن أحسب أن للملك أنصاراً بهذه الكثرة .

مبروك : هلم مرة أخرى ، ولنشد من عزائم الفرنسيين .

فإنهم إن أخفقوا أخفقنا نحن أيضاً .

سالسورى : إن هذا الشيطان الدعى فولكنبرج

يحمل لواء النصر وحده ، على الرغم مما يعترضه من العقبات .

مبروك : يقولون إن الملك جون غادر الميدان لشدة مرضه .

(يدخل ميلون ، جريماً)

ميلون : اذهبوا بى إلى عصاة الإنجليز .

سالسورى : فى وقت الرخاء كنا ندعى بأسماء أخرى .

مبروك : إنه اللورد ميلون .

سالسورى : جريح مشرف على الموت .

ميلون : لودوا بالهرب أيها الإنجليز النبلاء ، فإنكم تباعون وتشترون ،

- أقلعوا عن عصيانكم الذميمة
 وعودوا إلى ولائكم الذى نبذتموه
 واذهبوا إلى المالك چون واركعوا عند قدميه .
- ١٥ فلو كتب النصارى للفرنسيين فى هذا اليوم الصاخب ،
 فإن لويس قد صبح عزمه على أن يجازيكم على ما تجشمت
 بقطع رؤوسكم ، لقد أقسم على هذا -
 وأقسمت أنا معه وكثير غيرى -
 أمام المذبح فى سنت إدمند سبرى ،
 أجل نفس المذبح الذى حلفنا لكم عنده
 يمين الصداقة والمحبة الأبدية .
- ٢٠ سالسبورى : أهذا ممكن ؟ أهذا صدق ؟
 ميلون : أأست الآن فى مواجهة الموت الذميمة ،
 وليس فى الحياة إلا بقية
 تنسكب بسرعة ، كأنها شمع يتحول عن صورته
 أمام النار اللافحة ؟
- ٢٥ فأى شىء فى العالم يدعونى اليوم لأن أخادعكم ،
 وليست هناك فائدة أجنيها من الخداع ؟
 لماذا أكذب إذن مع أنى لا ألبث أن أموت هنا ،
 ونجأتى من عذاب الله بعد ذلك مرهونة بالتزام الصدق ؟

أعيد ما قلته : إذا انتصر لويس اليوم ،
 فإنه يكون حائثاً في يمينه إذا قدر لعيونكم هذه
 أن ترى الفجر يطلع من الشرق مرة أخرى ،
 بل حتى في هذه الليلة
 التي أخذ نسيمها الخبيث يرسل الدخان حول قرص
 الشمس العجوز ،

٣٠

بعد أن أدركها الوهن وأعيها سير النهار ،
 بل في هذه الليلة الليلية ، ستخمد أنفاسكم ،
 وتجزون نظير غدركم الدنيء
 بغدر آخر هو أرواحكم جميعاً ،
 إذا ما أحرز لويس النصر بمساعدتكم .
 بلغوا سلامي إلى رجل يسمى هوبرت يصاحب مليكمكم ،
 إن ما أكن له من المحبة

٣٥

٤١

إلى جانب انتسابي إلى جد من الإنجليز ،
 هو الذي أيقظ ضميري ، وجعلني أعترف بكل هذا
 وفي نظير ذلك أرجوكم أن تحملوني من هنا ،
 بعيداً عن جلبة الميدان وضوضائه ،
 حيث أستجمع البقية الباقية من أفكارى في هدوء
 وسلام ،

٤٥

وحيث يتاح للروح والجسد
أن يفترقا وسط التأمل والخشوع .

سالمبوري : ليس لدينا شك في صدقك ،

وتعس جدى إن لم أرحب بهذه الفرصة الجميلة
وهذه الطريقة التى تمكننا

من أن نعود أدراجنا بعد هذا الفرار الشائن ،

لقد كنا كالنهر الذى قل ماؤه

وأصبح راكداً آسناً ،

فاليوم نخترق الحواجز ونغادر المجرى غير السوى ،

ونجرب فى وادينا طائعين ،

إلى بحرنا المحيط ، إلى الملك چون العظيم .

سأسندك بذراعى وأعينك على الرحيل من هنا ،

فلإنى أرى فى عينيك آلام الموت القاسية ،

هلم أيها الأصدقاء إلى الفرار الجديد ،

وحبذا هذا الفرار الجديد ، لإحقاق حق قديم .

(يخرجون وهم يستندون ميلون)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

المعسكر الفرنسي

(يدخل لويس وحاشيته)

لويس : كدت أظن أن الشمس لا تريد أن تغرب ،
بل تود أن تبقى لتكسو الأفق الغربي بحمرة الحجل ،
عندما خلى الإنجليز مواقعهم متراجعين متخاذلين ،
ولم يكن بد من أن نفرض المعركة .
فبعد أن أطلقنا قذائفنا دون جدوى ،
عدنا إلى سكون الليل ، بعد ذلك المجهود الدموي
العنيف
وطوينا راياتنا الممزقة ،
وكنا آخر من غادر الميدان ، وقد كدنا أن نكون
ساده .

(يدخل رسول)

الرسول : أين مولاي الأمير ؟
لويس : هنا ما الخبر ؟
الرسول ١٠ : قتل الكونت ميلون ،

وتخلى عنك اللوردات الإنجليز بتحريض منه ،
والإمداد الذى طال انتظارك له ،
قد تحطم وغرق على رمال جودون .

لويس

. يا لها من أنباء سيئة محزنة ، فتباً لها وسحقاً !

١٥

لم أكن أحسب أنى سأعانى من الحزن الليلة بقدر
ما أثارت هذه الأنباء .

من ذا الذى أبلغنى اليوم

أن الملك چون لاذ بالهرب ،

قبل أن يفرق ظلام الليل بين جيوشنا المحمّدة بساعة
أو ساعتين .

الرسول

: الخبر صحيح ، أناً كان مصدره .

لويس

: حسن . عليك أن تشدد المراقبة والحراسة فى هذه
الليلة ،

٢٠

وسأسبق الفجر

لكى أدبر شئون الغد .

(يخرج)

الفصل الخامس

المنظر السادس

أرض فضاء بالقرب من دير سوينستد

(يدخل الدعى وهوبرت كلاهما على انفراد)

- هوبرت : من هناك ؟ تكلم يا هذا ، تكلم بسرعة ، وإلا رميت .
 الدعى : أنا صديق ، فن أنت .
 هوبرت : من فريق إنجلترا .
 الدعى : وأين تذهب الآن ؟
 هوبرت : ماذا يعنيك من هذا ؟ (سكون لحظة) ومالى
 لا أسأل عن شئونك أنت
 هوبرت : كما تسأل عن شئونى ؟
 الدعى : إنك هوبرت فيما أظن .
 هوبرت : صدق ظنك ،
 وإنى لأرجح ، على الرغم من جميع الاحتمالات
 أنك صديقى ، مادمت قد عرفت صوتى بهذه السهولة ،
 فن أنت ؟
 الدعى : أنا من تشاء ، وتستطيع إذا شئت

١٠ أن تصادقنى ، وحتى تبين أن نسبي
يتصل من أحد طرفيه بأسرة بلانتاجنيت .
هوبرت : ويل لذاكرتى الرديئة ، لقد خانتنى هى وهذا الليل
البيم ،

أيها المحارب الباسل اصفح عنى ،
إذا كانت أذنى

١٥ عجزت عن تمييز نبرات صوتك .
الدعى : لا داعى لتبادل الثناء . وقل لى ما لديك من الأنباء ؟
هوبرت : عجباً لقد خرجت الساعة فى جنح هذا الليل المظلم
لكى ألقاك .

الدعى : إذن قل وأوجز ، ما لديك .
هوبرت : أنبأى ، أيها السيد الكريم ، تحاكى هذا الليل البيم :
سوداء مخيفة ، تبعث القلق والرعب .

٢٠ الدعى : أطلعنى على أسوأ هذه الأنباء ،
فلست امرأة ، ولن يغمى على منها .
هوبرت : أخشى أن يكون أحد الرهبان قد دس للملك سماً ،

وقد تركته لا يكاد يستطيع النطق ،
وانطلقت لأنبئك بهذا الخبر المشئوم
٢٥ حتى تعد لهذا المأزق عدته ،

خيراً مما تستطيع لو جاء الخبر متأخراً .

الدعى : وكيف تناول السم ؟ ومن الذى تذوق طعامه (١) ؟

هوبرت : إنه أحد الرهبان : وأؤكد لك أنه وغد لثيم ،

٣٠ وطد العزم على الإثم ، وقد انفجرت أحشاؤه فجأة .

أما الملك فما زال به رومق ، ومن الجائز أن يشفى .

الدعى : ومن خلفت وراءك ليرعى جلالته ؟

هوبرت : ألم يبلغك الخبر ؟ إن النبلاء قد عادوا جميعاً ،

واصطحبوا معهم الأمير هنرى ،

٣٥ وقد صفح الملك عنهم بناء على رجاؤه

وهم جميعاً حول جلالته .

الدعى : ردى عنا نقمتك أيتها السموات للمعلى ،

ولا ترهقينا بما لا نطبق احتماله !

اعلم يا هوبرت أن جيشى أدركه المد فى هذه الليلة ،

٤٠ فابتلعت أمواج لنكلن (٢) نصفه .

وأنا نفسى ، على الرغم من ركوبى جواداً طيباً ،

(١) إشارة إلى تناول أحد الأشخاص الطعام قبل الملك ، للتأكد من خلوه من السم .

(٢) مقاطعة لنكلن على بحر الشمال ، حيث سهولة الأرض تجعل سير المد سريعاً فجائياً خطراً .

لم أنج إلا بشق النفس ،
 سر أمانى الآن وأرشدنى إلى حضرة الملك
 لعل أراه قبل أن تدركه منيته .
 (يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر السابع

بستان في ديرسوينستد

(يدخل الأمير هنرى وسالسبورى وبيجوت)

الأمير هنرى . لقد قضى الأمر وتسرب الفساد إلى كل ما في دمه

من عناصر الحياة ونمحه النقي .

الذى يعده البعض مقراً للروح .

لا يوحى إلا بعبارات فاترة

تنذر باقتراب الأجل .

(يدخل ممبروك)

لا يزال جلالته قادراً على الكلام ،

ويرى أنه لو حمل إلى الهواء الطلق ،

فإن ذلك قد يلطف

من حرارة ذلك السم القاتل الذى يؤذيه .

١٠ الأمير هنرى : دعهم يحملوه إلى البستان هنا ،

(يخرج بيجوت)

ألا يزال يهرف ويهذى ؟

إنه أكثر هدوءاً

ممبروك :

مما كان وقت أن تركتموه ، ومنذ لحظة كان يغنى .
الأمير هنرى : يا لقلب المرض !

إنه ينتقل بالمريض من النقيض إلى النقيض وهو
لا يدري .

والموت يتغذى أولاً بالجوارح الظاهرة ،
ثم ينتقل عنها خفية ، وهو الآن يحاصر العقل .
وقد أخذ يطعنه ويجرحه بأسلحة من الأوهام الغريبة ،
وهذه لا تلبث فى تراحمها وتدافعها نحو هذا المعقل
الأخير

أن تضطرب وتتلاشى .
ومن عجب أن يبعث الموت على الغناء .
وحسبى أنى أنا الفرخ لهذه البجعة الشاحبة ،
التي ترنم بأنشودتها الحزينة قبل موتها ،
وتغنى بصوتها الخافت أغنية
تبعث بها الراحة الأخيرة لجسمها وروحها^(١) .

٢٥ سالسورى : تجلد أيها الأمير ، فإنك ما ولدت
إلا لى تصلح وتنظم هذه الأمور المضطربة ،
التي خلفها فى فوضى واختلال .

(١) خرافة مشهورة عن البجعة التى تقف قبل موتها .

(يدخل الأتباع يحملون الملك جون في كرسى رمهم بيجوت)
الملك جون : أجل لعمري ! إن روحى الآن تجد مجالا تتمدد فيه .

فلم تكن ترضيها النوافذ أو الأبواب ،
إن في صدرى قيظاً بلغ من شدة حره
أن جعل أحشائى تنفتت كالتراب .
وقد أصبحت كأنى صورة
رسمت خطوطها على رق ينكمش
من مس هذه النار الموقدة .

٣٠

الأمير هري : وكيف حال جلالتم ؟

٣٥ الملك جون . مسموم ، سبي الحال ، ميت ، مهجور ، منبوذ ،
وليس بينكم واحد يريد أن يأمر الشتاء أن يأتى
ويدخل أصابعه الثلجية في معدتى ،
أو يجعل أنهار المملكة تحول مجراها إلى صدرى الملتهب ،
أو يلتمس من ريح الشمال أن ترسل تيارها القارس ،
ليقبل شفتى الذابلتين ،
وترفه عنى ببرودتها .

٤٠

وليس ما أسألكم بالشئ الكثير ، أنى أريد ترفيها يسيراً ،
فلا أحسب منكم سوى الشح والتكران وتأبون على هذا
المطلب اليسير .

٥٤ الأمير هنرى : ليت فى دموعى علاجاً ناجعاً يخفف ما تعانيه .

الملك جون : إن ما فيها من الملح حار

وفى باطنى جحيم ، وقد كمن فيه السم

كالشيطان يستبد بدمى

الذى لا خلاص له من قبضته .

(يدخل الدعى)

الدعى : أكاد أحترق بسبب الحركة العنيفة .

ولأسراعى الشديد لرؤية جلالكم .

الملك جون : يا ابن العم ، أتيت فى الوقت الملائم لتغمض عينى .

إن نياط القلب تمزق وتحترق .

والشرع الذى تسبح به سفينة الحياة ،

بات مهلهلاً ، لم يبق منه غير خيط واحد ،

وقد تشبث قلبى بهذا الخيط ليستبقى العمر لحظة

أخرى ،

لكى أسمع أنباءك .

وبعد ذلك يستحيل كل الذى تراه الآن

إلى كتلة من الطين تحكى صورة ملكية مضطربة

الملامح

الدعى : إن ولى عهد فرنسا يتأهب للزحف إلى هنا ،

والله سبحانه يعلم كيف يكون لقاءنا إياه ،
 فأني في ليلة واحدة فقدت زهرة جيشي ،
 حين حركت قواتنا إلى موقع ممتاز ،
 فأغار علينا تيار المد فجأة
 وأهلكها على بكرة أبيها .
 (يموت الملك)

٦٥ السبور : إنك تلقى بهذه الأثباء الخطيرة في أذن لا تعي .
 مولاي ! سيدى ! الآن كنت ملكاً ، والآن صرت
 هكذا !

الأمير هنرى : وأنا كذلك سوف أجرى شوطي ، ثم أقف هكذا ،
 فأى أمان في العالم ، وأى أمل ، وأى ثبات ،
 إن كان هذا منذ لحظة ملكاً ، والآن قطعة من حاصال .

٧٠ الدعى : أكذا نذهب ، ؟ مابقائى بعدك

إلا لتنفيذ أمرك بالانتقام
 وبعد ذلك نقف روجي في خدمتك في السماء ،
 كما كانت... على الدوام .، مكرسة لخدمتك على
 الأرض .
 وأنتم أيتها الكواكب التي تلور في فلكها القديم ،

أين ما فيكم من بأس وقوة الآن ؟ أروني الآن وفاءكم
وإخلاصكم للحق بعد رجوعكم إلى الصواب ،

٧٥

وعودوا معي الساعة ،

لكي نرد الخطر ونطرد الدمار والعار الأبدي

عن أبوابنا وبيلادنا المهيضة الجانب .

لنهجم فوراً عليهم ، وإلا هجموا فوراً علينا .

فولي العهد الفرنسي يتعقبنا مسرعاً .

٨٠

سالمبوري : يبدو لي أنك لم تعرف بعد ما نعرفه ،

إن الكردينال باندولف ، وهو يستريح الآن في

الداخل ،

قد جاء منذ نصف ساعة من قبل ولي العهد ،

يحمل منه عروضاً للصلح ،

نستطيع قبولها دون مساس بشرفنا وكرامتنا ،

٨٥

وهي ترمي إلى إنهاء هذه الحرب فوراً .

الدمي : لعله يكون أكثر رغبة في السلم

إذا رأنا أحسن التأهب للدفاع .

سالمبوري : كلا ، إن السلم أصبح في حكم المقرر ،

لأنه أرسل الكثير من مركباته إلى الساحل ،

٩٠

ووضع قضيته وخصومته بين يدي الكردينال ،

ليقضى فيها بما يشاء .
فإن شئت ذهبنا أنا وأنت والوردات
للقائه عصر اليوم ،

لكى نتم هذا الأمر بنجاح .

٩٥

الدعى : ليكون الأمر كذلك . وليتفضل الأمير الكريم
بالإشراف على ما يجب لحنازة والدك العظيم من التكريم ،
ومعك من تيسر حضوره من الأمراء .

الأمير هنرى : يجب أن يدفن جثمانه فى وُستر ،
فقد كانت هذه وصيته .

١٠٠ الدعى : إذن فليُنقل إلى هناك

ولتتقلد يا مولاي ، بالسعادة وإيمان ،
لمرثك الشرعى ، ومجد بلادك التليد ،
وإلى - بكل خضوع - أركع على ركبتي ،
لكى أضع تحت قدميك
خدمائى وإخلاصى وخضوعى الدائم .

١٠٥

سالبورى : ونحن كذلك نقدم وفاءنا ومحبتنا ،
التي لن تشوبها الدهر شائبة .
الأمير هنرى : إن لى روحاً ودوداً تريد أن تشعركم بشكرها .

ولكنها لا تستطيع التعبير عن ذلك إلا بالدموع .
 ١١٠ الدعى : جدير بنا الآن ألا نستسلم للحزن ،
 فقد كابدنا من قبل أشد ما يبعث الأحزان .
 إن إنجلترة ما كانت يوماً ، ولن تكون ،
 طريحة تحت أقدام الفاتحين الطغاة ،
 إلا إذا هي أعانت على التثكيل بنفسها .
 ١١٥ والآن وقد عاد إليها نبلاؤها ،
 فلما نستطيع أن نلقى ثلاثة أركان العالم
 مدججة بالسلاح ، فندمرها تدميراً .
 أجل لن يكون في العالم شيء يضرنا ،
 ما دامت إنجلترة مخلصه لنفسها .
 (يخرجون)

١٩٩٣ / ٨٤٩٧	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4230-6	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤٢٢
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..
ودار المعارف يسعدنا أن تقدم للقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب في العالم العربي لتكتسل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.

